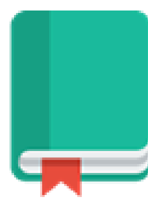
حسن الحلبي

لن يموت

رواية



الرواق للنشر والتوزيع



لن يموت

روايـــة

حسن الحلبي

الرواق للنشر والتوزيع

١

كي أبــدأ كتابة روايتي الجديــدة، كان لا بدّ لي مــن أن أقوم بعمل شيء جديد..

كان لا بدّ من عمل شيء مختلف..

كان لا بدّ من تغيير لكل شيء..

قلت لزوجتي (ســارة) إنني أرغب في الذهاب إلى شــقة مفروشة كي أجلس فيها وحدي، شقة أستأجرها لمدة يوم أو يومين، كي يأتيني الإلهام هناك، على الأقل، وفور أن أبدأ الكتابة بحماس داخل الشــقة، سأكون جاهزًا لإنهاء الرواية بطاقة كبيرة وهائلة..

يتصل بي الناشر كل يومين، يطلب منّي أن أرسل له الرواية، وهو لا يعلم أنني لم أبدأ كتابتها حتى الآن!

كل مـا أريده هو الإلهام، شيء يلهمنـي كيف أنطلق، شيء يحفزني كي أبدأ، شيء يدفعني كي أركض فوق الورق بلا توقف..

اقترحت عليّ (سارة) أن تذهب مع الأولاد عند منزل أهلها، وأن أبقى أنا في البيت، لكننـي كنت أعرف نفسي؛ هذا الاقتراح مرفوض من قِبَل مجلس إدارة عقلي الباطن!

هذه الاقتراحات الروتينية والمعتادة ليس لها مكان مع مخططي، إذ إنني يجب أن أكون وحدي وفي مكان جديد عليّ!

يجـب ألا أكون في مـكان مألوف للعقل والرؤية، هكذا سـيأتيني الإلهام الذي أحاول منذ فترة أن أجده..

هكذا سأكتب!

بعد تردد وافقتني، على مضض كما يقولون..

أعددت حقيبتي، متعلقاتي، شـاحن الهاتف المحمول، اللابتوب، أوراقـي، والدفتر الذي فيه مخططـات كتابة الروايـة.. دومًا أقول إن كتابة الروايات أشـبه بالهندسـة المعمارية، يجب أن تؤسس للبناء جيدًا كي لا يسقط عليك..

فجـأة دخلت الغرفة ابنتـي (رنين)، بالصف السـادس الابتدائي هي، شقراء وعيناها ملونتان، مثل والدتها تمامًا..

ملامحهـا كانت تحمـل الفضول والتسـاؤل والقلـق في آن واحد، اقتربت وقالت:

ـ بابا..

ـ نعم يا (رنين)..

قالت وصوتها يرتعد من الخوف:

ـ ثمة عبارة مكتوبة على المرآة في الغرفة!

ـ أي مرآة؟!

ـ المرآة التي في غرفتنا، عليها عبارة غريبة.. من كتبها؟!

عقدت حاجبيّ وقد علت ملامحي الدهشة والحيرة..

عبارة مكتوبة على المرآة؟!

نهضت سريعًا أنا و(سارة) لندخل معها الغرفة، ونظرت إلى العبارة المكتوبة على مرآة الخزانة، في غرفة نوم (رنين) و(لينا)..

كان مكتوبًا على المرآة بلون أحمر، وبخط متعرج:

«لا تذهب أرجوك»!

هل هذا طلاء؟!

هل هذه ألوان؟!

مددت إصبعي وتحسسته.. رباه! هذا الملمس، هذه اللزوجة أعرفها..

هذا دم!

بسم الله..

ـ من كتب هذه العبارة بالدم على مرآة الخزانة؟!

سألت بعصبية وصوت مرتفع، بينما نظرت (سارة) إليّ مستغربة حماقة السؤال، فابنتي (رنين) صغيرة وهي التي أخبرتنا أساسًا، كما أن ابننا (حافظ) في الصف الأول..

لا..

ليس لأيّ منهما أي علاقة!

لم يكتبها أيّ منهما، ورغم كل التوتر الذي سببته هذه العبارة بقيت مصممًا على ما أريد فعله، سأذهب إلى الشقة وأكتب فيها، بينما ستذهب (سارة) مع الأولاد عند أهلها، لمدة يومين..

كانت (سارة) في حالة لا تصدق من العصبية والغضب:

ـ رغم كل قصص الرعب التي تكتبها ولا أقرأ حرفًا منها، ورغم هذه العبارة المرعبة الغامضة التي لم يكتبها أيٌّ منا، ليس عندك أي مشكلة؟! ما زلت مصرًا على الذهاب؟!

حاولت أن أطمئنها قدر استطاعتي..

حاولت أن أفسر الأمر بأنّني أنا من كتب هذه العبارة ليلاً، ربما وأنا نائم، ربما من شدة التفكير في هذه الأمور التي تشغل ذهني، أو ربّما هي من كتبت هذه العبارة بلا وعي؛ لأنها تفكر أيضًا طوال الوقت في تلك الأشياء..

لا تقلقي، أنا أكتب قصصًا تدور في هذا العالم، نعم، لكنني لم أتعرض لأي تجربة حقيقية حتى الآن..

بصراحة، أرى الموضوع بعيدًا جدًا عني!

كثيرا ما تناقشنا في هذا الشأن، أنا و(سارة)، هي مؤمنة بشكل هائل بوجود الجن والشياطين وكل تلك الكائنات، وأنا رغم أنَّني أكتب قصص رعب لم أكن أؤمن كثيرًا بهم وبوجودهم..

من الناحية الدينية، أؤمن بوجودهم إيمانًا مطلقًا بالطبع، ولكن في الحياة الواقعية أشعر أن أغلب الحالات ليست أكثر من أمراض نفسية، أو ادعاءات مزيفة بإتقان..

فقط لا غير!

نعم، هناك أشعة حمراء وأخرى فوق بنفسجية لا يمكننا رؤيتها، وهناك ذبذبات فوق وتحت صوتية ولا يمكننا سماعها، وحتمًا هناك كائنات أخرى بيننا وبينها حجاب، لكن ـ أيضًا ـ الأمر فيه جوانب كثيرة، غموض كبير يكتنف كل شيء فيه، أسرار هائلة الحجم، وليست بكل تلك البساطة والوحشية التي نراها في القصص والأفلام بالتأكيد..

حتى ما أكتبه أنا، لا بدّ أن يكون مبالغًا فيه جدًا، كي يحبه القارئ المعتاد على الخيال الواسع، لا بدّ..

هي قصص، مجرد قصص..

مـن ضمن مـا تقولـه لي (سـارة) دومًـا، أننا حتـى مـن الناحية التكنولوجيـة توجد أمور بيننا وبينها جـدران عالية، الإنترنت المظلم جانب شـهير جدًا من الإنترنت، وهو بيننا وليـس خياليًا أو غامضًا، ولكن لا يستطيع أي شـخص الولوج إليه ومعرفة مواقعه وأسراره؛ ثمة أمور كثيرة على المرء فعلها كي يستطيع الدخول..

أبدًا ليس بتلك السهولة..

قدر اسـتطاعتي، وبهدوء، وبكلام لطيف ووعـود جميلة، أقنعتها بألا تقلق، ستنام مع الأولاد عند أهلها، وسأنام بالشقة..

العبارة المكتوبة بالدم على المرآة استفزتني جدًا..

استفزت خيالي..

يجب أن أذهب لأكتب، أفكار كثيرة تدور في رأسي!

هناك شقة أخبرني عنها صديق لي اسمه (حازم ثلجي)، اتصلت به وأخبرني أنه استأجرها مرة وكانت جميلة ومريحة..

اتصلـت بالحـارس ولم يجبني، لكنـه بعد قليل اتصـل بي من رقم خاص؛ لم يظهر الرقم عندي..

وصلـت المبنـى، كان الليل قد حـلّ وبدأت العتمة في الانتشـار. أوقفت السـيارة بجانب البناية، ونزلت منها وأنا أشعر ببداية صداع في رأسي، دون أن أعرف سببه..

دخلت الشـقة، مفروشـة طبعًا والأثاث جميل، ثمة لمسات لطيفة

جـدًا هنا وهناك، أشـعر كأنه كانت هنا فتاة جميلة أو مهندسـة ديكور محترفة، قررت أن تترك أثرًا واضحًا لها في الزوايا..

حـضَّرتُ الوضـع الذي يناسـبني كي أبـدأ الكتابة، ومن حسـن حظي كان هناك سـخان ماء كهربائي يشـبه السـخان الذي عندي في البيت، نفس العلامة التجارية أيضًا..

أعددت كوبًا من الهوت شوكليت وبدأت أكتب، وبدأت أنغمس في الأحداث، وفجأة..

سمعت صوت خطوات..

ثمة شخص يمشي في الشقة!

المشـكلة أنني وسـط غرفـة الجلوس تمامًـا، والبـاب مغلق، وقد نظرت في كل الغرف قبل أن أعدّ نفسي للجلوس والكتابة..

لكنّ هناك صوتًا، خطوات، في الغرف..

في أكثر من غرفة في الوقت نفسه!

نهضت، وبحذر شديد بحثت في كل الغرف، ولم أجد أحدًا..

لا أحد تمامًا..

بعدها سمعتُ صوت ضربات على الجدران!

صـوت قـوي ومزعـج، كأنّ أحـدًا يضرب الجـدار بيـدٍ كبيرة، أو أن معـه مطرقـة مـا.. المشـكلة أيضًـا أن الجـدار الـذي بجانبي،

المطلّ على الشارع، كان الصوت من عنده أيضًا..

مَن وكيف؟!

اختفى الصوت وأنا واقف في مكاني، والرعب قد تملكني، وقبل أن أعود لأجلس من جديد، سمعتُ صوت أصابع تنقر على الزجاج نقرات سريعة متلاحقة..

أصابع تخدش الزجاج..

صوت أصابع!

عليك اللعنة يا (حازم)!

جئتُ هنا كي أكتب عن الرعب، وأنت تريد أن أعيش في حالة رعب حقيقية؟!

هل هذا ما تقصده؟!

هل أرسلتني متعمدًا إلى بيت مسكون معتبرًا نفسك متعاونًا معي ومع خيالي هكذا؟!

تنهدت وأطلقتُ زفيرًا حارًا من أعماق صدري، ذهبت إلى الحمام كي أغسل وجهي، لكنني فور أن فتحت الصنبور، انطلقت مني صرخة رغمًا عني..

دم!

نزل خيط رفيع من الدم، من الصنبور!

ما كل هذه الدماء اليوم؟!

بسم الله الرحمن الرحيم!

فجأة صرختُ بقوة:

ـ لست خائفًا منكم!

لا أدري كيف واتتني الشجاعة وقلتها كأنني متأكد من أن ما يحدث معي سببه الجن.. ربما لأنني كتبتُ الكثير عنهم..

في الحقيقة، وقتها كنت أقرأ بعض آياتِ القرآن، ولم أكن أشعر بالقلق أو الخوف على الإطلاق..

مرعب جدًا، شعور مواجهة شيءٍ كتبت عنه!

لم أخض في حياتي تجربة حقيقية، وما يحدث الآن هو تجربة حقيقية حتمًا، مواجهات من النوع الثالث كما يقولون في هوليوود، حتمًا لست أتوهم أو أتخيل..

حتى الآن، لا يوجد إيذاء مباشر لي، ولا يوجد أي أشياء أخرى غير التخويف، من المحتمل أن هذا بسبب تحصيني لنفسي، أو أنني أقف هكذا بشجاعة دون قلق ظاهر على ملامحي..

ربما يجب أن أفكر هكذا مع نفسي لئلا أسمح لهم بالتوغل أكثر!

هدأ كل شيء، هدأت الأصوات واختفت، ومن الصنبور نزل بعض الماء أخيرًا، واختفى الدم..

بعد أن استجمعت شتات نفسي وقواي، وبعد أن هدأت أعصابي، نهضت واغتسلت، وعدت إلى الحاسوب المحمول. كان كوب الهوت شوكليت قد صار باردًا، فسخنته بالميكروويف، وأكملت ما بدأته، وأنا أنظر متوجسًا يمينًا ويسارًا كلّ عدة ثوانٍ، متوقعًا أن تحدث مصيبة ما، أو أن يهاجمني شيء لا أعرف كنهه!

الكتابة كانت أسهل، الكلمات كانت تخرج من عقلي من تلقاء نفسها، ما حدث شحن خيالي حتى الحد الأقصى، ويجب أن أستغل الفرصة لأكتب دون توقف..

بعد ثلاث ساعات من الهدوء، وأكثر من عشرين صفحة كتبتها بكل حماس، شعرت بأنني على وشك السقوط في غيبوبة من شدة النعاس، ذهبت إلى غرفة النوم ونمت..

مباشرة..

عندما جاء النهار واستيقظت، اتصلت بـ(حازم) ولكنه لم يجب الاتصال. يجب أن أسأله عن هذه الشقة، وهل هذه مجرد دعابة كبيرة منه كعادته أم أنه -كما أتوقع- كان يريدُ مني أن أكون بأجواء شبيهة بالقصص التي أكتبها؟!

أعدت الاتصال أكثر من مرة دون جدوى..

خرجت من الشقة ونزلت بالمصعد حتى الطابق الأرضي، هناك باب غرفة مكتوب عليه (الحارس)، طرقت عليه عدة مرات، فتح لي الباب، وسألته فورًا عن الذي رأيته بالأعلى..

ضحك وقال وهو يضع على رأسه طاقية صوف زرقاء:

ـ أنت تتخيل..

قلت له بعصبية وحزم، وبلهجة الذي يدافع عن نفسه:

ـ يا رجل، أنا متأكد تمامًا مما رأيته، ثمة شيء خاطئ في هذه الشقة بالتأكيد، هل مات شخص فيها؟! هل حدثت بها جريمة قتل مثلاً؟! هل تم بناء هذا المبنى فوق مقبرة؟! فوق مغارة قديمة مسكونة؟!

كنت أسأله وأنا أضع له كل السيناريوهات المعتادة أو المتوقعة، لكنّ الرجل لم يأخذ كلامي بجدية، ضحك وعدّل طاقية الصوف الزرقاء فوق رأسه، وقال من جديد قبل أن يغلق الباب:

ـ أنت تتخيل!

هذا الوغد يستفزني..

صعدت من عنده باتجاه باب البناية، فتحته كي أذهب إلى سيارتي، يجب أن أحضر علبة سجائري التي نسيتها أمس، و...

فجأة رأيت الرجل مرة أخرى..

الحارس..

كان قادمًا من وراء سيارتي!

أوقفته بإشارة من يدي، وحدقت بوجهه وأنا أقول:

ـ عفوًا، ألم تكن الآن بالأسفل؟! بغرفتك في الطابق الأرضي؟!

رفع حاجبيه وقال:

ـ عفوًا!

بعصبية قلت:

ـ الآن تركتك بالأسفل! قبل دقيقة تمامًا! كنت عندك في غرفتك بالأسفل، وأخبرتك عن الذي حدث معي بالشقة، أمس ليلاً، كيف وصلت إلى هنا بهذه السرعة؟!

كانت عيناه ممتلئتان بالدهشة وهو يقول:

ـ لم أكن في الغرفة!

قلت بدهشة أشدّ:

ـ ماذا؟!

قال وهو يضرب كفًا بكفّ:

ـ كنت في البقالة القريبة، لم أكن في غرفتي!

وقال شيئًا لم أميز تفاصيله عن نعمة العقل، وغاب في مدخل البناية وأنا أحدق فيه من الخلف بذهول، وبطاقية الصوف الزرقاء التي كانت فوق رأسه..

كنت مستمرًا في التحديق!

هل كنت أتخيل؟!

ما هذا؟!

كنـت أتخيل كل تلك الأشـياء أمـس ليلاً في الشـقة، والآن كنت أتخيل أنني مع هذا الرجل، بالأسفل؟!

لا..

هناك شيء ما خاطئ، شيء غير طبيعي..

ـ أعوذ باللـه من الشيطان الرجيم!

قلتها بصوت مرتفع وأنا أفرك يديّ الاثنتين بقوة، فتحت السيارة ووجدت علبة السجائر، كانت فارغة، ويجب أن أشتري واحدة..

كانت البقالة على مسافة مئتي متر مني تقريبًا، لا يستحق الأمر أن أذهب بالسيارة، فمشيت حتى وصلت إليها ودخلت، ألقيت السلام

أشرت بيدي بدقة:

ـ تلك، التي عليها قرميد أخضر من الخارج..

قال وهو يعقد حاجبيه:

ـ هل تقصد البناية المهجورة؟!

بذهول سألت وأنا أفتح عينيّ عن آخرهما:

ـ ماذا؟!

أي بناية مهجورة؟!

ما الذي يقوله؟!

خرجت من البقالة بأقصى سرعة وقلبي يدق بجنون شديد، بتوتر وقلق، بخوف، برعب، بذعر هائل..

هناك شيء خطأ حتمًا، هو يقصد بناية أخرى بالتأكيد..

مليون بالمئة هو يقصد بناية أخرى!

لكـن عندما خرجت من عنده وحدقـت في البناية التي نمت فيها من الليل حتى الصباح، شعرت بقلبي يكاد يتوقف..

البناية كانت وحدها، وسط مساحة كبيرة، كلها أشجار..

وكانت مهجورة!

هناك أثاث محطم عند الباب، وبجانبها، والكثير من قطع الخشب

المتناثرة، وبقايا جذوع شــجر، والبناية نفسها كانت في حالة يرثى لها، كأنها محترقة من زوايا عدة..

والنوافذ..

كل النوافذ تم تحطيمها على نحو عنيف، والزجاج في كل مكان!

مشيت مثل المسحور باتجاه البناية وأنا أصرخ في داخلي أنّ هذا كله ليس حقيقيًا، ما يحــدث الآن لا يحدث معي حقًا، هذا ليس حقيقيا.. ليس حقيقيًا!

لكــن عندما وصلت إلى باب البناية تأكدت على نحو هائل من أن هناك شيئًا غير عادي..

هذه نفســها البناية التــي أتيت إليها بالأمــس، ودخلت من بابها، ونمت فيها، وكتبت داخلها، واستيقظت داخلها..

لكنها أيضًا ليست البناية نفسها!

هــذه واحدة أخــرى، فيهــا كل شيء مختلف، متحطم، هــذه بناية مهجورة، وثمة صوت خفافيش تطير بالداخل رغم أننا في النهار..

صوت أجنحتها معروف وواضح، على نحو كبير..

لحظة، حاسوبي المحمول، متعلقاتي، أشيائي!

ركضــت بسرعة في اتجاه المصعــد، ورغم أنني كنــت فيه بالأمس وكان نظيفًا ويعمل بكفاءة، فإنه الآن غير موجود!

ثمة فتحة غريبة وبشعة في الجدار، والمصعد في الأسفل، تمكنني رؤيته وهو محطم، وهناك آثار حريق عليه وحوله..

صعدت الدرج حتى الطابق الثالث، وجسدي كله يرتجف من الرعب والإثارة والتوتر، في الوقت نفسه..

وصلت إلى الشقة، مكتوب رقم ٢٣ على الباب!

عندما نزلت كي أرى الحارس ثم البقالة بعده، كان الباب مغلقًا بالمفتاح طبعًا، لكنه الآن موارب!

مفتوح قليلاً. مددت يدي على جيبي بعصبية شديدة..

لم يكن المفتاح هناك، ليس بالداخل..

أين ذهب؟! ومن فتح الباب؟!

لم أفكر كثيرًا، فتحته ودخلت بسرعة..

وشهقت!

الشقة كانت خالية..

لم يكن فيها إلا بقايا أثاث قديم فقط، و...

ثمة شيء واحد على الأرض، جعل صرختي تنحبس في حلقي، وجعل جسدي كله يرتجف مثل ورقة في مهب الريح، وجعلني أشهق بقوة لدرجة أنني شعرت بروحي تكاد تغادرني..

أمامي على الأرض..

كانت هناك طاقية صوف..

لونها أزرق!

■ ■ ■

٢

لوهلة، بقيت محدقًا فيها بلا تصديق!

أمامي علـى الأرض طاقية الصـوف الزرقاء، التـي كان الحارس يضعها فوق رأسـه عندما نزلت عنده في غرفتـه، وعندما رأيته عائدًا من البقالة القريبة، بعدها بدقيقة..

لكن..

أنا نمتُ هنا!

نمت بهذه الشـقة، وسـمعت العديد من الأصوات، وربما تخيلت بعض الأشـياء، وحتى إنني أعـددت هوت شـوكليت، وكان لذيذًا رغم كل شيء..

مشـيت سريعًا في اتجاه الغرفة التي في الداخل، وأنا أستعيذ باللـه

بصوتٍ مرتفع، وأحوقل، محاولاً ألا أفقد الوعي..

لا يوجـد أي شيء من أشـيائي ومتعلقاتي، بالعكس، هناك الكثير من الغبار والتراب، في كل مكان، أينما مشـيت ودخلت، كأنّ أحدًا لم يكن هنا منذ فترة طويلة..

لكنّني فجأة رأيت الكوب الأحمر!

هذا نفـس الكوب الذي شربت فيه الهوت شـوكليت أمس ليلاً، اقتربت منه وشعرت بأنني مصدوم للغاية..

الكوب كان فيه الكثير من الشعر الأسود الكثيف!

أستطيع تمييز هذا الشعر، مددت أصابعي وأمسكت بعضه، قربته من أنفي وشممت الرائحة، وكما توقعت..

هذا شعر كلاب!

مـا الـذي يفعله شـعر كلاب أسـود، داخل كوب أحمر، في شـقة مهجورة، ضمن بناية مهجورة بالكامل، في (تلاع العلي)؟!

شـقة مهجـورة وقديمة، من المفـترض أنني نمت فيهـا، ولم يكن شكلها هكذا، أمس، بالليل!

الشقة اختلفت..

البناية كلها تغيرت!

لا أفهم..

أشعر أنني ضائع، ولست أفهم شيئًا!

مخي يسألني آلاف الأسئلة دون أي جواب..

شعر كلاب؟!

لماذا شعر كلاب بالذات؟!

وأين كل متعلقاتي؟! أين حاسوبي المحمول؟!

هل لطاقية الصوف الزرقاء أي شأن بما يجري؟!

خرجت ومشـيت باتجاه الباب، ولا أدري السـبب الذي جعلني أنحني وأمسك طاقية الصوف..

كانت باردة للغاية!

و...

فجأة سمعت صوت شخص يهمس..

شخص، يهمس، في الغرفة التي كنت فيها قبل قليل!

أنا وحدي في الشـقة، المهجورة كما هو واضح رغم كل شيء كان يقول العكس بالأمس، والبناية كلها خالية تمامًا..

من الذي يهمس؟!

ببطء شديد، وبخوف، مشيت شيئًا فشيئًا حتى الغرفة، التي كانت خالية، وفيها فقط بعض المقاعد المحطمة، وبقايا سرير التهمته النار..

ومرآة!

كانـت هناك مـرآة كبيرة على الجـدار، وكنـت أرى فيها انعكاسي بشكل واضح، وبيدي طاقية الصوف الزرقاء..

لكن المشكلة أنّ انعكاسي كان يبتسم!

أنـا واقف وفي يدي الطاقيـة، وملامحي كلها قلـق، بينما انعكاسي الذي يشبهني في كل شيء، بملامحي وملابسي وكل شيء، لم يكن قلقًا مثلي، كانت على وجهه ابتسامة غريبة، ولم يكن في يده شيء..

لم تكن معه طاقية صوف زرقاء!

بلا وعي اقتربتُ من المرآة، ومددت يدي اليمنى..

الانعكاس كان يفعل مثلي تمامًا، لكن في اللحظة التي اقتربتُ فيها بإصبعي كثيرًا من سـطح المـرآة، مد الانعكاس يـده الأخرى فجأة، وسحبني من يدي بقوّة!

صرخت من الرعـب والمفاجأة، وأنا أرى يدين اثنتين، في شـكل يديّ تمامًا، تجذبانني داخل المرآة..

لم يعد سطح المرآة صلبًا، بل صار أشبه ببركة من المياة الواقفة!

لا أدري كيـف أصف، لكنني شـعرت بنفسي أغطس في بركة من الماء الثقيل، كتمت أنفـاسي وأغمضت عيني وأغلقت فمي بقوة كي لا أصرخ، وأنا لا أفهم شيئًا..

ما أفهمه، هو أنني مرعوب على نحو هائل!

شعرت بنفسي أكاد أغرق، كأنني أنسحب من مكان إلى مكان آخر، واختفت كل الأصوات فجأة..

ففتحت عينيّ..

كنت لا أزال محتفظًا بطاقية الصوف الزرقاء بين يديّ، غارقًا بالماء، كلّي، من قمة رأسي حتى أخمص قدميّ، وكنت في مكان غريب، والمشهد كله كان غريبًا، وبعيدًا جدًا عن التصديق..

ما الذي أفعله هنا بالضبط؟!

كنتُ في غابة!

غابة كبيرة، ممتلئة بالكثير من الأشجار من كل شكل ونوع، أشجار طويلة وضخمة، ورق عريض، وأعشاب قصيرة، وأغصان ملتوية وملتفة على نحو غريب لم أر مثله من قبل..

وكان هناك صمت غير عادي!

من الواضح أنها غابة كبيرة وعملاقة جدًا، ورغم هذا لا يوجد أي صوت على الإطلاق..

لا يوجد صوت ريح، أو هواء، لا توجد أصوات لأي أشخاص أو حيوانات أو حشرات..

لا يوجد أيّ صوت..

فقـط صوت دقات قلبـي الـذي كان ينبض بقوة كبـيرة، والذي جعلني أشعر أنّ هناك طبلاً ضخمًا داخل صدري!

أكثـر مـا أثار اسـتغرابي هو ورق الشـجر، وليس فقط شـكله أو طريقة تكوينه، أو حجمه الضخم..

اللافـت أنه ملون عـلى نحو جميل جـدًا، وغير عـادي في الوقت نفسـه، فلكل ورقة لون، سواء أحمر أو أزرق، أو أخضر أو أصفر، أو حتى أبيض وأسود..

وهناك ألوان جديدة!

الألـوان معروفة، لكن هنا توجد ألوان جديدة، من الصعب جدًا أن أطلق عليها اسمًا أو أن أحاول أن أقول إن هذا اللون شبيه بالأحمر مثـلاً.. لا.. ألـوان جديـدة.. كمن يـأكل المانجو، الطعـم هو طعم المانجو؛ وصعب جدًا أن تقول إنه قريب من طعم التفاح أو الموز، كل فاكهـة لها طعمها الخاص، ونكهتها المختلفـة والمتفردة.. هناك الشيء نفسـه تمامًا، هناك ألوان جديدة، غريبة على البصر والرؤية عندي، لا أدري كيف أسميها، أو كيف أصفها..

شيء غريب..

شيء مذهل جدًا!

فجأة سـمعتُ صوتًـا مثل فحيـح الأفاعي، من بين الشـجر على يساري، من بعيد..

سسسسسسسسسسس!

والتفتُّ بسرعة، لا أرى، لست قادرًا على تمييز الصوت، لأعرف صوت من، أو صوت ماذا بالضبط..

فجأة سمعتُ صوت شخص يمشي..

هذه مشية آدمية، ويبدو أن من يمشي لا يرتدي شيئًا في قدميه، الصوت واضح..

اقترب الصوت، وظهر صاحبه من وراء الشجرة العملاقة التي كانت على يساري، والتي يقول جذعها بوضوح إنها معمرة جدًا..

كان طفلاً صغيرًا أصلع!

طفل صغير، ربما لا يتجاوز عمره العشر سنوات، وكان يرتدي ملابس سوداء. شعرت أن الملابس قطعة واحدة. وكانت ملامحه هادئة وجامدة، وعيناه مصوبتان نحوي مباشرة، بتركيز شديد، وأنا أنظر إليه دون أي ردة فعل، محاولاً أن أفهم..

أحاول استيعاب ما يجري حتى الآن!

أحاول فهم كيف كنتُ في الشقة المهجورة، وكيف سمعتُ همسًا من شبيهي المبتسم في المرآة، وكيف جذبني داخلها ليجيء بي إلى هُنا ويختفي، وكيف فتحت عينيّ لأجد أنني غارق بالماء داخل هذه الغابة الصامتة، والتي ظهر لي منها الآن طفل صغير أصلع، فقط ليحدق فيّ بتلك النظرة الثابتة المخيفة..

ما كل هذا؟!

فجأة سمعتُ صوتًا داخل رأسي..

صوت طفل صغير، يقول:

«تعال»!

ملامح وجهه كانت تقول إنه قال الكلمة، رغم أنه لم يفتح فمه ولم يحرك شفتيه، لكنني سمعت صوته داخل رأسي بوضوح، وقوّة..

قالها ومشى ببطء..

أدرت وجهي ونظرت حولي في كل مكان، لا يوجد أي شيء يجعلني أبقى في مكاني، لا أشخاص، ولا مرآة أعود منها إلى تلك الشقة، مجرد أغصان وأشجار في كل اتجاه، لا يوجد شيء آخر..

فمشيت خلفه..

كان يمشي بسرعة، ويقفز من مكان إلى مكان، وأنا خلفه، أنظر حولي طوال الوقت..

الهدوء غريب، وأنا أحاول اللحاق به قدر استطاعتي، حتى وصل فجأة عند مكان انتهت فيه الأشجار، وكان هناك منحدر صخري، هو كان عند حافته..

كان واقفًا هناك، وكان هناك خرير ماء قوي، وأنا كنت قريبًا منه، ألهث، أحاول فهم الذي أراه بالضبط..

الغيوم التي في السماء فوقنا سوداء تمامًا، الغابة خلفنا، ونحن عند حافة منحدر، مطلّ على بحر كبير، لا أرى نهايته، فقط مياه لونها أسود، وأمواج..

أمواج تتلاطم يمينًا ويسارًا رغم أنه لا يوجد هواء!

المنظر غريب جدًا..

الطفل الأصلع توقف وأدار جسده كله ناحيتي، وفجأة ألقى بنفسه من الأعلى، من الحافة، من دون أدنى تردد، ومن دون أن يتفوه بكلمة واحدة أخرى..

صرخت بفزع، وركضت في اتجاهه وأنا أحاول فهم واستيعاب هذا الفعل! لماذا ألقى بنفسه؟! ولماذا ناداني كي أراه وهو يلقي نفسه؟!

لم أفهم!

وقفت عند الحافة ونظرت إلى الأسفل، هناك صخور سوداء كبيرة متناثرة، وكان هناك شيء لا يصدق..

كانت هناك ثلاث جثث..

جثث لثلاثة أطفال صلع الرؤوس، يرتدون الملابس السوداء!

هل ناداني كي ينتحر بجانب اثنين مثله؟!

لماذا؟!

ومن هو أساسًا؟!

ولماذا يريدني أن أراه؟!

أغمضت عينيّ وعصرت مخي قدر استطاعتي، المشكلة أنّ ملامحه مألوفة نوعًــا ما لديّ، كأنني رأيته قبل هذه المرة، لكنني لا أدري متى أو أين..

أحاول أن أتذكر، أحاول أن أتذكر..

دون جدوى!

فتحــت عينيّ وحدقت في المـكان، هناك ثلاث جثث بالأســفل، على بعد مسافة كبيرة مني، وهناك بحر أسود ليس له أي صوت رغم أن أمواجه متلاطمة على نحو عجيب، والســماء سوداء، ورغم هذا لا يوجد ليل، لا توجد عتمة..

هو نهار عادي من غير أي شمس..

أين الشمس؟!

فجأة سمعت صوتًا آتيًا من الغابة!

حبســت أنفــاسي، الصــوت كان قريبًا، وبــما أنّ المـكان غارق في الهدوء كان الصوت عاليًا جدًا، صوت شخص يمشي، والمشية كانت بطيئة وفيها صعوبة..

وكان هناك صوت زمجرة!

المشية تبدو مشية آدمية، لكن هناك صوت زمجرة أيضًا..

لماذا؟!

أدرت ظهري وأنا أحاول أن أرى شيئًا، أيّ شيء، لا يوجد شيء! أمامي الغابة التي أسـمع الصوت منها، وورائي البحر الأسود الذي عنـده الصخور التي بقربها الجثث الثلاث، والقشـعريرة زحفت على عمودي الفقري حتى آخر رأسي..

أنا خائف..

كل جسدي يرتجف..

من هذا القادم بالضبط؟ ولماذا يصدر هذا الصوت منه؟!

فجأة ظهر صاحب الصوت، وهوى قلبي بين ضلوعي..

كان شـخصًا يمتلئ وجهه بالـدم، وملامحه غـير واضحة، وكان يرتدي ملابس ممزقة، وكان رأسـه شـبه مقطـوع ومتدلّيًا على صدره مثـل المذبوح، وكانت أحشـاؤه ظاهرة من جرح كبـير في بطنه، ومن رقبته، وهناك شرايين، هناك أوردة، هناك قطع لحمية مشـوهة تسقط منـه وهو يمـشي نحوي، بحركـة بطيئة متصلبة تشـبه حركـة الموتى الأحياء..

كان منظره مرعبًا جدًا، ورغم هذا كان سؤال واحد في رأسي:

كيف يستطيع الحركة ورأسه شبه مقطوع هكذا؟!

لم يكـن هناك وقـت للجـواب لأنه كان يقـترب منّـي، لا أدري مـا الـذي سـيفعله بالضبط ولكنـه لن يكون شـيئًا جميـلاً بالتأكيد..

هل سيهاجمني؟! هل سيفترسني؟! هل سيحولني إلى نسخة شبيهة به؟! هل سيرميني من أعلى باتجاه جثث الأطفال الثلاثة؟! لا أدري ما الشيء المنطقي الذي سيفعله لأن كل ما يحدث معي ليس منطقيًا أبدًا.. سواء وجودي في هذا المكان اللعين الغامض، أو الطفل الذي انتحر بجانب اثنين انتحرا قبله بالطريقة والوضعية نفسها، والمكان والشكل نفسهما أيضًا، أو صاحب الرأس المقطوع القادم نحوي!

لذلك ركضت..

ركضت بجانب الحافة، بحيث لا أكون قريبًا منها جدًا ولا أعود إلى الغابة مرة أخرى، لأنه من المحتمل أن يكون فيها آخرون مثله، لا أدري، هذا الغموض يثير التوتر جدًا..

ركضت وأنا أسمع صوته من خلفي، صار قلبي يدق بسرعة وقوة كبيرتين، لم ألف رأسي ولم أهتم برؤية فرق المسافة بيني وبينه، كنت أركض بكل قوتي، بينما صوته صار يبتعد عني أكثر وأكثر..

الحافة لا تريد أن تنتهي، ولا الغابة، كأنني أركض في طريق مكرر ممتد إلى اللانهاية.. تعبتُ وصارت أنفاسي تتلاحق، وصار جسدي يؤلمني، لكنني لم أهتم كثيرًا..

المهم أن أركض، المهم أن أهرب..

المهم ألا يقترب مني..

رأيت عدة أشجار كبيرة على اليسار بالغابة بعد قليل، وبينها

مسـافات، فبسرعـة اتجهت نحوهـا، واختبـأت وراء واحـدة منها، ونظرت إلى المكان الذي جئتُ وهربت منه..

لا يوجد أحد غيري..

أدرت وجهي، الشـجر كبير ومتكاثف، وعلى بعد مسافة لا بأس بها كان هناك بيت كبير مبني من الخشب!

بيت؟!

رغـم أن الموضـوع بعث بعض الأمـل داخلي، لا أنكر شـعوري ببعض التوتر، لا أشعر بالراحة أبدًا..

لا بـدّ أن يكون هناك شيء خطأ في هـذا المكان الذي وصلت إليه عن طريق الخطأ، والذي كان كل شيء فيه حتى الآن خطأ!

مشيت باتجاه البيت شيئًا فشيئًا، بيت كبير من طابقين، ويبدو مثل البيـوت الريفية في أمريكا أو كندا، وحوله سـياج صغير وقصير، ولا يوجد شيء على بابه..

بيت صغير وسط الغابة!

اقتربت من الباب، وطرقته..

مرة، مرتين، ثلاثًا، وفجأة سمعتُ صوتًا من الداخل يقول:

«تفضل»!

نعم؟!

اسألني من أنا على الأقل! أم أنّك لا تملك أدنى مشكلة مع أي شخص يطرق بابك، ليدخل منزلك هكذا دون أي قلق أو أي سؤال؟! هكذا صرت خائفًا من الدخول!

رغم كل شيء تغلبت على فضولي، ومددت يدي وفتحت الباب، استجاب بسهولة، لم يكن مغلقًا، ودخلت..

مشيت في ممر فيه شموع مشتعلة على اليمين واليسار، قبل أن ينتهي الممر بقاعة كبيرة فيها مدفأة حطب، وسجادة إيرانية كبيرة على الأرض، وعدة لوحات معلقة على الجدار، وطاولة ضخمة عليها رأس وحيد قرن!

وكراسي..

كراسي يجلس على أحدها شخص مبتسم.. آخر شخص توقعت أن أراه في هذا المكان بالذات..

(شاهين)..

صديقي المفقود منذ سنوات عدة!

■ ■ ■

٣

لوهلة حدقت في وجهه ولم أعلق، لم أقل أيّ كلمة..

(شاهين)!

منذ أكثر من ســت سنوات وهو مفقود، فجأة في يوم ما خرج من منزله، ولم يعرف أحد أين ذهب..

ببساطة: خرج ولم يعد!

اختفى، والبعض اعتقد أنه سافر، أو اختُطِف؛ وخرجت حملات كثـيرة حكومية وتطوعية للبحث عنه، ويومًا بعد يوم فقدوا الأمل في أن يجدوه أو يعرفوا أي خبر عنه..

وتسجل أنه مفقود رسميًا!

شـعرتُ باللهفة تدبّ في أعصــابي وعروقي، ما الذي أحضره هنا

إلى هذا المكان الذي جئت إليه عندما تم جذبي إلى داخل المرآة؟!

كيف؟!

هل كان داخل المرآة طوال هذا الوقت؟!

هل كان في هذا العالم الذي كانت المرآة مجرد بوابة له؟!

لماذا؟!

ما السبب؟!

وجدت نفسي أندفع نحوه، وهناك مليون سؤال على وشك مغادرة فمي، بكل فضول الدنيا..

لكن قبل أن أمشي خطوتين أو ثلاثًا، رفع يده وفاجأني:

ـ توقف، لا تقترب!

توقفت تمامًا وسألته:

ـ ما بك؟! ماذا هناك؟!

ابتسامته كانت غريبة وفيها مرارة وهو يقول:

ـ لا تقترب، أنا هنا لكنني لستُ هنا!

سألت بدهشة:

ـ ماذا؟!

قال:

ـ من الصعب أن تفهم..

شعرت بالغموض يفترسني بالكامل، صرخت فيه:

ـ (شـاهين)، ما الذي تقوله؟! أنـت أمامي وأنا أراك بوضوح تام وأتكلم معك! كيف تكون هنا ولستَ هنا؟!

وجلست على كرسي مقابل له، بينما قال بتوتر:

ـ ربما سـتفهمني في وقت آخر، لا أعرف، المهم الآن أن تسـمع ما سأقوله لك جيدًا، قبل أن يحضروا..

شعرت بالدم يتجمد في عروقي فجأة!

كان يتكلـم بجدية، وكان على وجهه عرق، وعلى ملابسـه، وكان يتكلم بنبرة عصبية..

وكان واضحًا عليه الخوف!

ـ من هم؟! من الذين سيحضرون؟!

سألته، فأجابني بعد أن أطلق زفرة حارة عميقة:

ـ هـذا ليس مهـمًا، المهم أنهـم في أي لحظة سـيكونون هنا، ولهذا اسمعني جيدًا..

باهتمام قلت:

ـ قل لي..

قال بثبات وهو ينظر نحوي مباشرة:

ـ احذر من نفسك!

حدقت فيه باستغراب كبير، ثم قلت وأنا أرفع حاجبيّ:

ـ من نفسي؟!

هز رأسه:

ـ نعم، من نفسك، احذر من نفسك!

بفضول قلت:

ـ ما الذي تقصده؟!

أجاب بطريقة غريبة، وببطء:

ـ أنت (عدنان) الأول، أليس كذلك؟! أريد أن تحذر من (عدنان) الثاني، الآخر! لا يصحّ أن يكون هناك اثنان منك! هذا لا ينفع! هذا غير منطقي!

حدقت في وجهه..

يبدو أنه مجنون!

ربما هو ليس (شاهين) أصلاً، ما الشيء الذي فعله (شاهين) كي يكون هنا، في هذا المكان الغامض بالذات، كي ألتقيه بصدفة عجيبة خلف مرآة مائية، ليقول لي كلامًا غير مفهوم؟!

نهضت بسرعة وقلت بعصبية:

ـ أي أول وأي ثانٍ يا (شاهين)؟! ماذا تقول؟!

لم يجبنـي، فقـط تأملني قليلاً وعلى وجهه علامـات تفكير عميق، ثم فتح فمه ليقول شـيئًا، لكن وقتها اشتعلت النيران في الشموع التي على الطاولة..

فجأة!

رفع (شـاهين) عينيه تجاهي، كانت عيناه مفتوحتين حتى آخرهما وفيهما فزع هائل، وقال:

ـ لقد جاءوا!

قالها، ومباشرة بعدها رأيت أول طيف..

طيـف، وراءه أطيـاف أخرى، خيالات شـفافة، اخترقت الحائط بسرعـة، تجاوزتنـي ولم تعرني أيّ اهتمام كأنني لسـت موجـودًا، بينما أنا مكاني، أشـعر أننـي تحولت إلى تمثال جامد غير قـادر على الحركة، واستولى الذعر الشديد على ملامح (شاهين)..

اقتربت منه الأطياف الشفافة التي بلا ملامح، وهاجمته فجأة بقوة وشراسة، وبدأ يصرخ..

وصرت ـ لا إراديًا ـ أصرخ معه..

خلال دقائق مرت كأنها سـنة، وقع على الأرض، كله دم، ورأسه بجانـب عنقه على نحو غريب كأنه مذبـوح، ربما كانوا يريدون فصل

رأسه عن جسده ولكنهم لم يفصلوه كليًا، وكانت ملابسه ممزقة بعنف، بينما لم تقترب الأطياف مني نهائيًا، غطست في الأرض لا أدري كيف، واختفت فجأة كما ظهرت فجأة..

بقيت واقفًا مكاني لا أعرف إن كان بإمكاني الحركة أم لا، قبل أن يحدث فجأة شيء مرعب، مذهل، جعلني أفكر وأصرخ، وأسأل نفسي مليون سؤال في الوقت نفسه..

فجأة (شاهين)، أو جثته، أو ذلك الذي كان (شاهين)؛ نهض من مكانه، توقف، وسمعتُ صوت زمجرة مخيفة منه، ورأسه متدلٍّ على صدره، موصول ببقايا شرايين بعنقه، وهناك أحشاء تخرج منها على نحو مقزز، ومن بطنه أيضًا..

نعم؟!

ما هذا؟!

هذا نفسه الذي كان يركض ورائي قبل قليل!

هل كان (شاهين) هو الذي يلاحقني عند الحافة؟!

كيف؟!

لا أفهم!

هذه الأحداث التي حدثت الآن، حدثت بعد أن هربتُ من المسخ الذي كان يريد الهجوم عليّ قبل قليل، والذي جاءني من الغابة هناك..

أصلاً لم أعرف مكان هذا البيت إلا بسبب هروبي منه!

ما الحدث الذي تمّ قبل الآخر؟!

كيف هربت منه لأحضر إليه قبل أن يتحول؟!

كان يعرف أنهم سيحضرون إليه، وكان يدري أنه سيحصل معه شيء؟ فهل ما حدث، حدث من قبل؟!

ما هذا العبث الزمني الغريب؟!

انتزعني من أفكاري صوت زمجرته التي تقول بوضوح تام إنه صار قريبًا مني جدًا.. من دون وعي ركضت ورجعت من الممر وفتحت الباب، وانطلقت إلى الخارج بسرعة البرق، وهذه المرة جريت في اتجاه الغابة دون أن يهمني شيء..

صوته خلفي..

أنفاسه خلفي، خطواته خلفي، زمجرته خلفي..

لم أهتم، وشعرت أن الأدرينالين قد تفجر في جسدي كله، طاقة كبيرة وهائلة داخلي، جعلتني أجري كأنني لم أجرِ في حياتي كلها. من السرعة وقعت طاقية الصوف الزرقاء من يدي؛ توقفت وعدت سريعًا وحملتها، وأكملت الجري..

أريد أن أهرب وأنجو منه رغم أني هربت ونجوت منه مسبقًا!

مرتين، لا أعرف كيف..

متى كانت الأولى ومتى الثانية؟! أيهما سبقت الأخرى؟!

أيضًا لا أعرف كيف..

مـكان ممتلئ بالغموض وعلامات الاسـتفهام، وكله أشـياء غير منطقيـة وغـير مفهومة لي أو لأي شـخص آخر قد يعيـش نفس هذا الموقف..

فجأة اختفى الصوت من خلفـي، فبقيت أجري قليلاً ثم توقّفت وأنا ألهث، وأدرتُ وجهي..

يا إلهي! ما كلّ هذا الهدوء الغريب؟!

لم أعد أسمعُ إلاّ صوت تنفسي فقط، ومن كان يجري خلفي اختفى تمامًا، سـواء كان (شاهين) ـأو جثتهـ أو الذي لا أدري ماذا أصبح أو إلام حوَّلوه..

يجب أن أعود إلى المكان الذي أتيت منه، يجب أن أرى، لعلّ هناك شيئًا أو مكانًا مختلفًا عن هذه البقعة.. ربما هناك ستظهر لي المرآة نفسها التـي جذبتني إلى هنا، ربما يجب أن أبحث عنها، لعلها خلف شـجرة ما مثلاً..

أخذت أمشي وأنا أحاول الاختباء وراء الشجر، لا أريد أن ألتقيه مـرة ثانية، أو ثالثـة بالأحرى، أمشي وأنا أحاول قدر اسـتطاعتي ألا يصدر مني أدنى صوت و...

فجأة سمعتُ صوتًا..

صوت سيارة!

هُنا؟!

صوت سيارة، هُنا؟!

كان صوت الســيارة آتيًا من بين الشجر، ومن مسافة بعيدة، وكان يبدو أنها آتية بسرعة عالية، هذا واضح من الصوت الذي يقترب مني على نحو تصاعدي غريب ورهيب..

من الذي يقود ســيارة هنا؟ وكيف يستطيع أن يسير بها وسط كل هذا الشجر القريب من بعضه والمتكاثف هكذا؟!

مرت ثوانٍ قبل أن ينكسر الشــجر الذي أمامي من اندفاع السيارة التــي اســتمرت تتجه مباشرة نحــوي، كي تصدمني بقــوة، وقبل أن تضربي بثانية انتبهت على شيء لم أكن أتخيله..

هذه سيارتي..

سيارتي هي التي صدمتني!

الألم هائــل، صرخت بقوة وأنا أشــعرّ أن الدنيا تدور بي، شــعرت بكل عظمة في جسدي تؤلمني، قبل أن أفقد الوعي بسرعة، وأنا أشعر أنني أسقط في فجوة عميقة وسوداء..

سوداء جدًا..

عميقة جدًا..

لا أدري كم الفترة التي فقدت فيها الوعي، ما أعرفه أنني استيقظت، ووجدتني مرميًا على الأرض، بالشقة نفسها..

لا توجد سيارة..

ولا غابة..

ولا شجر..

ولا أي شيء!

أنا على الأرض، في الشقة، ومعي طاقية الصوف الزرقاء، وكل جسدي يؤلمني، تمامًا الألم نفسه الذي قد يسببه اصطدام سيارة..

تمامًا..

لكن كيف؟!

هل كنت هناك فعلاً لكنني عدت؟!

هل لم أذهب من الأساس وكنت أتخيل أو أحلم؟!

هل الكائنات التي هُنا أثرت فيّ وفي تفكيري وفي رؤيتي بهذه القوة؟!

لا أعلم..

نهضت، واستطعت بصعوبة أن أقف على قدميّ، كل عظمة بجسدي تصرخ..

الوجع حقيقي، لكن ما حدث قبل قليل لم يكن حقيقيًا؟!

لست قادرًا على تخيل الجواب!

مشـيت إلى الغرفة التي بها المرآة الكبيرة المعلقة على الجدار، والتي رأيت فيها انعكاسي الآخر، الذي جذبني إلى داخلها..

مـددت رأسي ببطء وحذر من بـاب الغرفة، كانـت المرآة مكانها فوق الجدار، وكان انعكاسي الطبيعي فيها..

انعكاسي أنا، يفعل كما أفعل، ويتصرف مثلي..

لكن على الأرض كانت هناك بركة كبيرة من الدم المتجلط!

من ماذا؟!

بسبب من؟!

متى جاء هذا الدم هنا بالضبط؟!

قبـل أن أنتقـل إلى العالم، ذلك الذي في داخل المـرآة، لم تكن بركة الدم موجودة، والآن هي موجودة..

لكن هل انتقلتُ فعلاً؟!

أشعر أنّ رأسي على وشك الانفجار من التفكير..

فجأة خطرت ببالي فكرة، فأمسـكت طاقية الصوت الزرقاء بيدي بحزم، وبسرعة نزلت الدرج للأسفل، عند الطابق الأرضي..

باب الغرفة المكتوب عليه (الحارس) موجود لكنه قديم، متهالك، يختلف عن الذي رأيته أول مرة..

ضربته بقدمي فانفتح مباشرة، وصرختُ..

صرختُ مما رأيته بالداخل!

الحارس، نفسه الذي رأيته بالأمس، مرتين، كان ميتًا داخل الغرفة، جثته كانت أمامي بالملابس نفسها التي كان يرتديها أمس، وهو معلّق من قدميه..

الجثة كلها دم، ومنتفخة على نحو غير طبيعي، كأن عشرة رجال ضربوها مرة واحدة، بقوة وحقد، في كل ركن وكل مكان، وهشموها إلى هذا الحد..

غير عادي!

المشكلة أنه يبدو أن هذا قد حدث منذ زمن طويل..

الرائحة قاتلة، والعفن منتشر في كل مكان، ربما منذ شهور، بل

لا أعــرف ما الذي يجب عــلي أن أفعله.. لا أدري كيـف أفكر، وفيم أفكر، ولماذا أفكر!

فجأة سمعت نباح كلب بجانبي، على يساري..

أدرتُ وجهي سريعًا وصُدِمتُ..

شعرتُ بالدم قد تجمد في عروقي!

على بعد أربعة أمتار كان هناك كلب أســود، حجمه كبير على نحو مبالغ فيه، وكان يقفُ على نحو مرعب غير عادي، وذيله يهتزّ بحركة عصبية مثيرة للتوتر..

وكان بلا رأس!

أنــا أقف أمــام باب غرفــة، فيهــا جثة شــخص رأيته حيًــا يرزق بالأمــس، بينــما يبــدو عليــه الآن أنه مات منــذ زمن طويــل، في بناية مهجــورة نِمــت فيها ليلة كاملــة مع أنها لم تكن هكــذا، وشربت فيها كوبًا من الهوت شــوكليت في كوب أحمر ظهر لاحقًا أنه ممتلئ بشــعر الكلاب الســوداء، والآن أمامي كلب أســود ليس له رأس، وصوت نباحه يخرج من داخل جسده نفسه..

جسدي كله يرتجف..

أشعر أنني سأسقط مكاني..

أشعر أنني على وشك أن أفقد الوعي، مجددًا..

أشعر ببرودة غريبة..

ركض الكلب فجأة في اتجاه الجدار، واخترقه..

اخترقه كأنه شفاف!

بقيت متسـمّرًا مكاني، من دون حركة، قلبـي يدق بسرعة غريبة، وأنا تجمدت، وعيناي تنظران إلى الجدار الذي اختفى داخله..

أدرت رأسي ببطء، شيئًا فشيئًا نحو الجثة..

و...

كانت الجثة قد فتحت عينيها..

وكانت تنظر إليّ مباشرة!

ماذا؟!

ماذا؟!

ماذا؟!

بسم الله الرحمن الرحيـم!

انحبس صوتي في حلقي، ومن غير تفكير شـددتُ طاقية الصوف الزرقـاء نحـوي، في اتجـاه صدري، وخرجـت من المـكان بأقصى ما أستطيع من سرعة..

أهرب!

لم أشعر بساقيّ وأنا أصعد الدرج، أفتح الباب، أركض نحو السيارة، وأركب فيها، وأشغل محركها، وأنطلق بها بسرعة هائلة..

دقات قلبي مثل قرع الطبول في حفلة إفريقية..

رأسي يدور حول نفسه بسرعة جنونية، مثل بوصلة فقدت معرفتها بالاتجاهات..

كنت على وشك أن أدهس شخصًا وأنا أسير بسرعة هكذا؛ خففت من انطلاقتي بعد أن سرت قليلاً، وأخذت شهيقًا وزفيرًا بقوة. انتبهت على أنني صرتُ بعيدًا بمسافة لا بأس بها عن البناية..

أوقفت السيارة على اليمين..

انتبهت على أنّ كل متعلقاتي هنا، في السيارة، بجانبي!

ها هي، بجانبي..

على الكرسي الذي بجانبي..

الحاسوب المحمول، المحفظة، الهاتف، الأوراق، الأقلام، كلها هنا، مع طاقية الصوف الزرقاء، التي وضعتها بجانبي فور أن دخلت السيارة..

هل عندما جئت إلى البناية لم آخذ معي شيئًا؟!

كيف؟!

أذكر جيدًا أنني عندما وصلت أخذت معي كل شيء،

وحضّرت الوضع كما أريد بالشقة، بالأعلى..

وأذكر جيدًا أنني كتبت..

كنت أعمل على الحاسـوب، وكنت أريـد أن أكتب رواية، لكنني كتبـت قصتي رعب بدلاً منها، القصة الثانية التي كتبتها كانت تتكلم عن شـاب اسـمه (مؤيد)، وتنتهي القصة بموته في الشارع، والنهاية شنيعة، أذكر جيدًا آخر ثلاثة أسطر في القصة..

أذكر جيدًا..

فتحت الحاسـوب، مـن الجيد أن فيه بعض الشـحن، فتحت على برنامج الوورد، ورأيت آخر ملف تم حفظه..

آخر ملف محفوظ كان عنوانه:

مؤيد.doc

تمامًا كما أسميته وأنا هناك، بالأعلى، في الشقة!

لكن كيف والحاسوب لم يكن بالأعلى؟!

كيف والحاسوب كان هنا طوال الوقت؟!

ما امتزاج الزمن هذا من جديد؟!

كتبت..

لكنني لم أكتب!

ما الذي يحدث؟!

لماذا يحدث كل هذا معي؟!

ما هذه الشقة المجنونة التي كنت فيها؟!

أخاف ألا أكون أنا الذي قد جننت بعد كل هذا!

هل حدث معي شيء جعلني أجنّ، فعلاً؟!

أحاول أن أتذكر..

لا يوجد شيء معين!

ما الأمر إذًا؟!

فجأة رن هاتفي؛ وانتزعني من التفكير ومن بحر ملايين الأسئلة التي لها بداية وليس لها نهاية..

كانت (سارة) هي التي تتصل بي..

ـ آلو.. نعم يا (سارة)..

صوتها كان قلقًا جدًا، توتر كامل، وهي تتكلم بسرعة:

ـ نعم يا (عدنان)، أين أنت؟! اتصلت بك ألف مرة منذ أمس ليلاً وإلى الآن، قلقت جدًا عليك.. أين أنت؟!

لا أدري لماذا شعرت أنني مشتاق جدًا إليها، وإلى الرائعين سكان قلبي (رنين) و(لينا) و(حافظ).. ربما لأنني أشعر بضعف شديد في هذه اللحظة، بهوان غريب..

قلت لها:

ـ أنا قادم بعد قليل..

سألتني بلهفة:

ـ إلى البيت أم عندي هنا؟ عند بيت أهلي؟!

أدرت محرك السيارة، وانطلقت بها وأنا أقول:

ـ إلى البيت، قولي لشقيقك (كرم) أن يأتي بكِ إلى البيت، أنا متعب جدًا..

صوتها كان يحمل كلّ قلق العالم:

ـ ما بك؟! هل حدث معك شيء؟!

قلت لها وأنا أقود عبر الشارع الرئيسي:

ـ سأقول لك عندما تأتين يا حبيبتي، ما حدث معي شيء لا يصدق فعلاً، شيء غير طبيعي، تعالَيْ بأسرع وقت..

قالت:

ـ حسنًا، سنأتي حالاً..

أنهيت الاتصال معها ورجعت إلى البيت، دخلت ومعي كل متعلقاتي وحتى طاقية الصوف الزرقاء، لا أدري ما الذي جعلني أحتفظ بها معي طوال الوقت، لكنني كنت أشعر أن وجودها مهم.. وضعت كل شيء على المقعد الطويل في الصالة، واستلقيت على المقعد الآخر الذي بجانبه، ومخي يفكر بجنون، وعقلي فيه ضوضاء كبيرة،

كأن عشرة عقول تفكر داخلي في الوقت نفسه..

فجأة سمعت صوت ضحكة..

ضحكة رفيعة، وطويلة، ومخيفة..

من الحمّام!

■ ■ ■

٤

نهضتُ واقفًا مثل المجنون..

ماذا؟!

أتقبل أن يحدث ما يحدث في تلك الشــقة المهجورة، التي في البناية المهجورة، لكن هنا؟! في بيتي؟!

هناك شيء خاطئ بالتأكيد!

لم يحدث أي شيء مثل هذه الأشياء قبل هذه المرة، عندي في البيت أو غــيره، معنى هذا أن الخطــأ الذي حدث متعلق بي أنا، وليس بتلك الشقة فقط..

ربما الشقة هي التي فعلَت شيئًا بي، لي، حتى يلاحقني هذا الجنون إلى هُنا، إلى منزلي..

ربما تأثرتُ بالذي رأيته هناك، وربما دماغي يقوم ببعض الألعاب معي، أو عليّ لو شئت الدقة..

ركضت بسرعة وفتحت باب الحمام..

فارغ.. لا يوجد فيه شيء..

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرحيم..

بصوت عالٍ وجسمي يرتجف؛ استعذت بالله ثلاث مرات، وحاولت أن يكون صوتي قويًا قدر استطاعتي..

لم يحدث شيء، أنا وحدي بالبيت، وهذا مجرد تخيل على الأغلب! حتمًا هو مجرد تخيّل! بسم الله الرحمن الرحيم.. حتمًا أتخيل، أو أن ما حدث بالشقة فعل بي وبعقلي شيئًا..

هل كان يجب أن أذهب إلى هناك؟!

هل كان لا بدّ أن أكتب هناك؟!

أشعر أحيانًا أنني لا أطيق نفسي، حرفيًا..

أشعر أنني فظيع على نحو زائد عن الحدّ!

أغلقت باب الحمام بعد أن استعذت بالله مرة أخرى. اتصلت بـ(سارة) كي أتأكد من قدومها مع الأولاد، ومع (كرم)..

لم تردّ عليّ..

توت توت توت..

فجأة سمعت صوتًا من الحمام مرة أخرى!

الصوت كان رفيعًا، مثل صوت فتاة، وكانت تغني على نحو مرعب، وببطء قاتل، مستفز للأعصاب بجنون:

«مشاعر تشاور تودع مسافر

مشاعر تموت وتحيي مشاعر»

أغنية الفنانة (شيرين)؟!

من حمّام منزلي وأنا فيه وحدي؟!

ركضت نحو الحمام مرة أخرى وأنا أرتجف..

فتحت الباب وصرخت من الصدمة..

الحمام كان ممتلئًا..

من الأرض وحتى السقف..

بجثث الكلاب الميتة السوداء!

■ ■ ■

الحمام كله جثث كلاب ميتة ومن الأرض للسقف؟!

كيف؟!

لماذا؟!

المنظر غير طبيعي، لا يمكنك تصديقه أو تخيله إلا إذا رأيته.. الحمام كاملاً، كله، لا تستطيع رؤية أي شيء فيه، من الأرض للسقف، ولا حتى الجدران، ولا الأرضية..

الحمام ممتلئ بالكلاب الميتة، كلها سوداء، وأعينها شاخصة!

متى وأين؟! كيف؟!

ما هذا العبث المجنون؟!

يجب أن أفهم الأمر..

يجب أن أعرف ما السبب الذي يجعل هذه الأمور تستمر في الحدوث، هذه الأمور المخيفة يجب أن تتوقف، لن أسمح باستمرار هذا الجنون الغامض الذي لا أعرف سببه، ولا أدري بدايته، وأجهل نهايته، وفقط أعيش تفاصيله..

ثمة شيء خطأ، ويجب أن أعرف ما هو..

بعد قليل ستأتي (سارة) والأولاد، سيأتي بهم (كرم) كما طلبت، وسيكون الأمر كارثيًا إذا استمرّ حدوث هذه الأشياء..

أول شيء فعلته بعد هذه الفكرة، هو أنني اتصلت بـ(حازم)، صديقي الذي دلّني على الشقة، لعله يعرف شيئًا، أو لعله يخبرني بشيء يفيدني..

ـ أهلاً بكاتبنا الجمـ...

قاطعته بسرعة وبكل توتر وعصبية:

ـ (حـازم)! الموضـوع أكبر من أهلاً وسـهلاً! أنـا في كابوس من أمس لليوم بسبب تلك الشقة التي أخبرتني عنها..

سكت (حازم) قليلاً، قبل أن يسألني بكلّ دهشة الدنيا:

ـ أيّ شقة؟!

بعصبية وتوتر قلت له:

ـ الشـقة التي أخبرتني عنهـا يا (حازم)، ألم أتصـل بك وأخبرك أنني أريد أن أكتب، وأنت اقترحت عليّ شقة تعرفها كي أكتب فيها؟! ذهبت إليها وحدثت معي الكثير من الأمـ...

هنا كان دور (حازم) ليقاطعني بذهول:

ـ أنا؟! متى حدث ذلك يا رجل؟!

لم أقل شيئًا..

حدقت في الهاتف، وتركت (حازم) ينتظرني قليلاً، وبسرعة كبيرة نقرت على سجل المكالمات..

لا توجد أي مكالمة قريبة بيني وبينه..

هذه أول مرة أكلمه منذ أسبوع!

لكن.. ماذا؟!

كيف حدث هذا؟!

إنني أذكر مكالمتي معه بالكامل!

قلت بقلق واضح:

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يجب أن تعرف ما حدث معي اليوم وأمس..

وأخبرته باختصار شديد عن الذي حدث معي، عن الحارس وطاقية الصوف الزرقاء، والكلب الذي بلا رأس، والعالم الغريب الذي كان خلف المرآة، والعودة للجثة التي فتحت عينيها، والأغنية التي سمعت كلماتها من الحمام قبل قليل، وكيف أنه الآن فيه جثث كلاب سوداء من الأرض للسقف..

صوته كان يرتجف وهو يسألني:

ـ وأين (سارة) والأولاد؟!

أجبته:

ـ هنا المصيبة، سيأتون بعد قليل، وإذا حدثت أشياء غير طبيعية أخرى سندخل في عالم مرعب من ردود الفعل، ومن البكاء والصراخ والانهيار، لا يمكنني تخيل ما الذي قد يحدث..

سكت ثمّ قال بعد أن فكّر قليلاً:

ـ رأيي ألا يأتوا يا (عدنان)..

أجبته بعدم فهم:

ـ كيف ولماذا؟!

قال ببساطة:

ـ فليبقـوا جميعًا عنـد أهلها إلى أن تفهـم الأمر بقـدر كافٍ، لعلك تسـتفسر من شـخص يفهم في هذه الأمـور.. انتظر قليـلاً، هل أنت متأكد أنك تكلمت معي عبر الهاتف؟! معي أنا؟!

أقسمت له:

ـ نعم يا رجل واللـه العظيم! المشكلة أنني الآن عندما بحثت في سـجل المكالمات بهاتفي لم أجد رقمك، مـا يعني أن هذا الاتصال هو الأول بيننا منذ أسـبوع، رغم أنـي أذكر أنني هاتفتك قبل أيام قليلة، وأذكر الاتصال بالكامل، و...

وفجأة صمتُّ ولم أقل كلمة أخرى..

التزمت الصمت!

ـ نعم يا (عدنان)، وماذا أيضًا؟!

قالها لكنني بقيت صامتًا..

شعوري لحظتها كان يفوق الوصف..

شـعرت فجأة بحركة من خلفي وأنا أتكلـم معه، فأدرت وجهي ورأيت المنظر الذي صعقني..

الكلاب الميتة، كلها..

كانت حية..

كانت أمامي!

كانت بجانب بعضها، أمام بـاب الحمام، بمخالب متحفزة، تقف وقفة مخيفة، وذيولها تتحرك ببطء شـديد يمينًا ويسـارًا، أعينها كانت تقـدح شررًا، وكان لون أنيابها أحمـر، كأنها عليها دماء متجلطة زادت أشكالها رعبًا..

وكانت تحدق فيّ!

ـ (عدنان)! أين أنت؟! ألو! (عدنان)!

صوت (حازم)، صوت تنفسي المرعوب، صوت زمجرة جماعية من الكلاب، بصوت خافـت، لكن لأن الصوت كان يصدر من عشرين كلبًا على الأقل وفي الوقت نفسه، كان الصوت مثل أوركسترا سوداء غريبة، ومثيرة لكل مشاعر الفزع في العالم..

فجأة هاجمتني مرة واحدة، فأغمضت عينيّ وأنا أُبَسْـمِل وأستعيذ بالله من الشـيطان الرجيم، ورجعت إلى الوراء بحركة عصبية سريعة وأنا خائف للغاية..

لا أدري بماذا ارتطمت قدمـي، لكنني وقعت فجأة على الأرض، أفلتـت من فمي صرخة قبل أن تصـدم الطاولة مؤخرة رأسي، ووقع الهاتف مني، بعيدًا عني قليلاً..

أشعر أنني سأفقد الوعي، والكلاب حولي..

ظلام..

عتمة..

وفجأة رأيت أنني في الشقة نفسها التي كنت فيها بالأمس!

نهضت وتأملت ما حولي، كانت مثل أول مرة دخلتها..

نفسـها تمامًـا، وكل شيء معـي، كل متعلقاتي، والكـوب الأحمر، أخذت أتلفت حولي مثل المجنون..

ماذا؟!

كيف؟!

هل انتقلت إلى الشقة الآن؟!

هل أحلم؟!

شـعرت بغتة بارتياح غريب، حتى مشـيتي كانت بطيئة نوعًا ما، شعرت أنني داخل حلم..

رفعت يدي وقربتها من وجهي، هناك تشوُّش غريب في الرؤية.. حركتي بطيئة، فعلاً كمن هو في حلم..

لا أستطيع التحديد، هناك ضياع غريب..

فجأة سـمعتُ صوتًـا رفيعًا، انطلق من كلّ مـكان حولي، الأغنية نفسـها التي سـمعتها من الحمام بصـوت رفيع، مبـاشرة قبل أن أرى

جثث الكلاب السوداء:

«مشاعر تشاور تودع مسافر

مشاعر تموت وتحيي مشاعر»

صرت أتلفت بكل مكان حولي، قبل أن أراه مرة أخرى..

هو، نفسه، هو بالتأكيد!

الكلب الأسود نفسه الذي بلا رأس..

كان أمامي!

لا أدري كيف ميّزت أنه هو نفسه الذي رأيته عند باب غرفة الحارس أمس، قبل أن يدخل في الحائط ويختفي..

الآن ظهر لي من الحائط، وقف أمامي، وهجم عليّ..

من دون وعي ركضتُ..

هربت بأقصى سرعة، لكن أين؟!

الشقة ليست كبيرة، كما أنني أشعر أن حركتي بطيئة، وجسمي مشلول، وهناك برودة..

ما هذه البرودة الغريبة؟!

كأنني في ثلاجة!

وقفت بنهاية الممر، ومباشرة أمامي الكلب.. صوت الزمجرة هذا من داخله، من جسده كله..

ركزت معه بكل حواسي، أين رأسه؟!

لماذا من دون رأس؟!

لماذا الجو البارد؟!

هل أنا مستيقظ أم نائم؟!

هل جننتُ؟!

لماذا يحدث هذا معي بالذات؟!

فجأة هجم الكلب، قفز نحوي مباشرة، وبمخالبه ضربني على خدي الأيمن، الضربة قوية جدًا؛ وشعرت أنني أرتطم بالحائط الذي خلفي بعنف، ألم رهيب في خدي، مددت يدي بحركة لاإرادية وأنا أسمع صوت الزمجرة بكل مكان..

هناك دم!

جرحني جرحًا عميقًا، وجعل الدم ينزل من وجهي أيضًا..

فجأة سمعت صوت (سارة)!

من الأرض، من الجدران؛ كان صوتها يقول بخوف شديد:

ـ (عدنان).. انهض! انهض!

بعين نصف مفتوحة رأيت الكلب يتراجع إلى الوراء قليلاً، ثم يدخل في الجدار مرة أخرى ويختفي، وشعرت بالرؤية تتشوش على نحو رهيب..

كل شيء يدخل في كل شيء، الصور تتماوج، وفجأة تظهر ملامح (سارة) و(رنين) و(لينا) و(حافظ)، وحتّى (كرم) معهم!

أنا على الأرض في بيتي..

يبـدو أنهم حـضروا الآن، ووجـدوني فاقدًا الوعـي على الأرض هكذا، ما جعلهم يحدقون في وجهي برعب غير عادي..

لحظة.. هناك شيء ساخن!

أشعر بشيء ساخن على وجهي..

ما زلت أعيش الصدمة، لم أسـتوعب بعد كيفية الانتقال من وإلى الشـقة، وأنني كنت فاقد الوعي، وأنني اسـتيقظت لأجد نفسي هنا، وهم حولي..

ما زلت لم أستيقظ كما يجب، أشعر أنني هنا، وهناك..

ما هذا الشيء الساخن؟!

ما هذا الشعور؟!

لاإراديًا مددت يدي وتحسست وجهي، خدي الأيمن..

ألقيت نظرة على يدي ووجدت عليها بعض الدماء..

بحركة عصبية مجنونة وسريعة، نهضت من دون أي كلمة أو تعليق ووقفت أمام المرآة..

هناك خدش طويل في وجهي..

جرح طويل، من أثر مخلب الكلب الذي من دون رأس..

والذي هاجمني قبل قليل في أثناء غيبوبتي!

■ ■ ■



اقتربت (سارة) مني وهناك دموع في عينيها، والصدمة في ملامحها كلها، مثل الباقين، أولادي وشقيقها..

هناك خوف رهيب.. قالت:

ـ ما الذي حدث لك يا (عدنان)؟! لماذا كنت فاقدًا وعيك؟! وما هذا الدم؟!

وقالت (رنين):

ـ من فعل بك هكذا يا بابا؟!

وقال (كرم):

ـ سأتصل بالشرطة..

قالها وقد أمسك هاتفه بتوتر، رفعت يدي وقلت له:

ـ لا يا (كرم)، لا تتصل..

أولادي على يساري، و(سارة) على يميني، يمسكون بي بقوة كأنني أريد أن أهرب، وكأنما يتوقعون حدوث شيء.. جلست على الكنبة الطويلة، وجلسوا بجانبي..

اقترب (كرم) مني وسألني:

ـ لماذا؟! من هو؟! هل تعرفه؟!

نظرت إليه، (كرم) من النوع الحازم، الصارم، أعصابه دومًا أقوى من تفكيره، لكنه بعد بعض الشجارات العنيفة والقيود الأمنية تعلم أخيرًا، وصار يؤمن بأن الشرطة علاج لا بأس به، رغم أن الحل الأفضل هو أن يسترد المرء حقه بيده، فليس دائمًا اللجوء للقانون فيه الراحة..

رأسي فيه مليون دوامة..

قلت له:

ـ لا، اطمئن، لم يفعل أحد بي هذا، لقد وقعتُ أرضًا وارتطمتُ بحافة الطاولة وفقدت الوعي، لا تقلقوا..

فجأة نهضت وذهبت إلى الحمام وأعينهم مصوبة إليّ، الباب كان مغلقًا، فتحته بعصبية..

لا يوجد شيء، لا توجد كلاب!

اقتربت (سارة) مني مجددًا، وقالت بصوت خفيض:

ـ قل لي ما الذي يجري يا حبيبي، أنت هكذا تخيفني أكثر.. لا تقل لي إن هذا بسبب سقوطك! قل لنا من! ولماذا قلت لي إنك ستخبرني بالذي يجري عندما آتي؟! ما الذي حدث معك؟!

أمسكتها من يدها، وعدنا إلى الكنبة، وقلت:

ـ بابا، (رنين) و(لينا) و(حافظ)، أريد أن أتكلم مع ماما قليلاً، اذهبوا إلى غرفتكم..

لم يعلقوا بكلمة وحدة، ملامح (سارة) المذعورة، مع نظراتي والدم الذي من جرح وجهي، وإشارة من خالهم (كرم)، جعلتهم يذهبون إلى الغرفة مباشرة، ويغلقون الباب خلفهم..

ـ اجلس يا (كرم)..

جلست بجانب (سارة)، نظرت في عينيه وفي عينيها، أخذت نفسًا عميقًا وقلت كل شيء حدث معي، حتى مكالمتي قبل قليل مع (حازم)، وكيف أنني اكتشفت أنه ليس الشخص الذي تكلمت معه قبل عدة أيام، والغيبوبة أو الحلم الذي حدث بعد هذا، وكيف هاجمني الكلب، واستيقظت بسبب حضورهم..

أمسكت يدها وضغطتها بشدة وأنا أتمتم:

ـ ربما لو لم تحضروا في الوقت المناسب لكان أكمل مهمته وهجومه وقتلني! الحمد لله أنكم أتيتم في الوقت المناسب..

كانت عيناها ممتلئتين بالدموع وهي تقول:

ـ الحمد للــه، لكن لماذا يحدث هذا معك؟! ما كل هذه التخيلات والأوهام بالضبط؟!

ـ المشـكلة أنهـا كانت حقيقيـة للغايـة، لا أدري.. لم أعد أميز بين الخيال والواقع، ولا أدري لماذا، أتمنى أن أعرف السبب!

ـ وما الذي تريد أن تفعله الآن؟!

سـألني (كرم) بقلـق وهو يفرك يديـه ببعضهما، تنهدت، شـهيق وزفير، وغرقت قليلاً في تفكير عميق..

فجأة قلت وقد شعرت أن الجواب أمام عينيّ:

ـ الآن سأتواصل مع شيخ مختص بهذه الأمور..

باستنكار قالت (سارة):

ـ شيخ؟!

هززت رأسي بحماس:

ـ بالتأكيد، هل تعرفين الشـيخ (أبو إسـلام) الذي يسكن في نهاية الشارع، بجانب بيت (فادي) ابن عمتي؟! يقولون عنه إنه خبير بهذه الأمور، يجب أن أتواصل معه، يجب أن أستشيره..

بكل ضيق قالت (سارة):

ـ يقولـون عنـه إنه محتـال أيضًا، لماذا لا تسـأل عن شـخص آخر سُمعته أفضل؟!

قلت نافيًا:

ـ ليـس نصابًا، لحية الرجل تصل إلى منتصـف صدره، وعند كل صـلاة جمعة يكـون معنا في المسـجد، وله وجه مريح، سـأرتاح الآن قليلاً وأشرب شـيئًا، ثم سـأذهب عنده، أو ربما سـأجعله يأتيني هنا بنفسه..

بفضول سألتني ورأسها على صدري:

ـ وما الذي يستطيع فعله؟!

قبلتها من جبينها وأنا أقول:

ـ لا أدري، لكنه يعرف شيئًا حتمًا..

سـكتنا قليـلاً، لا يمكنـك أن تسـمع شـيئًا، إلا صـوت تنفسـنا الواضح، الذي قطعه فجأة باب غرفة الأولاد..

انفتح لتخرج من الغرفة (رنين)، أدرنا وجوهنا كلنا نحوها..

كان لون وجهها أصفر..

كانت خائفة، مرعوبة، كأنها رأت شيئًا أثار ذعرها جدًا!

نهضـتُّ بسرعة مثل المجنـون نحو الغرفة، دخلنـا ووجدنا (لينا) و(حافظ) على الأرض، نائمين، أو فاقدين لوعيهما..

مـا حدث وقتها هو انهيار عصبي في البيت، وصراخ من (سـارة) على نحـو غير طبيعـي، (رنين) تجمـدت دون أن تقـول أي كلمة أو تصـدر أي ردة فعل، يحتضنهـا (كرم) وهو يقرأ بعـض آيات القرآن عليها، وأنا و(سارة) نحاول إيقاظ (لينا) و(حافظ)..

فجأة فتح (حافظ) عينيه!

فتحهما بقوة، مرة واحدة، كانتا حمراوين على نحو غريب، وسألني آخر سؤال كنت لأتوقعه:

- بابا..

أجبته بلهفة:

- نعم يا حبيبي، يا عيون البابا.. بسم الله! ما الذي حدث؟! لماذا نمتا فجأة؟!

ليس معه ولا مع شقيقتيه..

ـ لماذا؟! كيف عرفت؟!

سألته بتوتر، و(سارة) تحدق وتبكي، و(لينا) في حضنها..

لم يجبني (حافظ)..

التي أجابت هي (لينا)، فتحت عينيها ببطء وقالت:

ـ الرجل أخبرنا..

سألت بصوتٍ حاولت أن يكون هادئًا لأقصى حدّ:

ـ الرجل؟!

بهدوء غير عادي قالت:

ـ الرجل الذي كان في الغرفة قبل قليل..

كررتُ السـؤال مجددًا كأنني لم أسمع ما قالت، بينما (سارة) تحدق فيها برعب:

ـ أي رجل؟!

قالت وعيناها تنظران إليّ في ثبات:

ـ الرجل الذي يرتدي طاقية صوف زرقاء!

■ ■ ■

٦

الرجل الذي يرتدي طاقية صوف زرقاء؟!

شعرت بالهلع يدبّ في كل سنتيمتر في جسدي..

لا..

إلا بيتي، إلا زوجتي، إلا أولادي!

بسم الله الرحمن الرحيم.. ما كل هذا؟!

أعين (سارة) و(كرم) على وشك الانفجار من الصدمة، تبادلنا نظرات سريعة، وكل منا يشعر أن دقات قلبه تغطي سماء العالم..

سيطرت بإرادة حديدية غريبة على أعصابي، وسألت:

ـ ثم ماذا فعل؟!

قالت (لينا) ببساطة:

ـ بعدهـا، كما خرج من الجـدار أمامنا، عاد واختفى في الجدار مرة أخرى، لا نعرف كيف..

ـ هذا سهل يا حبيبتي، كنتم تتخيلون طبعًا، هذا حلم جماعي على الأغلب، وهو يحصل مع الكثير من الأطفال..

قلتها وافتعلت ضحكة ليس لها أي داعٍ، انتزعتها من أعماقي، قبل أن أقترب من (كرم) و(سارة) وأقول بصوت منخفض:

ـ بسرعة، عودوا إلى البيت..

ضربت (سارة) على صدرها:

ـ ماذا؟!

اقتربت منها وأمسكتها من كتفيها، وقلت بحزم:

ـ لا يبدو الوقت مناسبًا لخوفك أو قلقك، لن تستطيعي فعل شيء ولا تقديـم أي نوع من أنواع المسـاعدة.. خذي الأولاد وارجعي مع (كرم) إلى بيت أهلك..

اقترب منـي (كرم) ومعـه (رنين)، يمسـك يدها بيـده اليسرى، وأمسك يد (لينا) بيده اليمنى، ودخلوا جميعًا مع (حافظ) إلى الغرفة، وأغلقوا الباب.. بينما قالت (سارة) وهي قريبة مني، عيناها في عيني، وصوتها كله خوف:

ـ وأنت ستبقى هنا؟!

قلت:

ـ لا، سأذهب إلى الشيخ (أبو إسلام)..

أطلقت تنهيدة طويلة وقالت بكل انزعاج:

ـ هووووووف! أرجو أن يكون قادرًا فعلاً على عمل شيء!

ابتسمت وقلت:

ـ يقولون عنه إنه خبير بهذه الأمور، أخبرتك بهذا..

أطلقتْ زفرة عميقة وقالت:

ـ حسنًا، سنذهب، ولكن أريد أن أبقى معك على الهاتف طوال الوقت، أريد أن أعرف ما الذي سيحدث، وما الذي سيقوله لك، وكيف لك أن تتخلص من هذه اللعنة..

أمسكت يدها وقبلتها، وقلت لها:

ـ اطمئني، لن يحدث شيء بإذن الله، سيجد لي حلاً..

ـ يا رب، يا رب..

قالتها، وبعدها بربع ساعة كانوا جميعًا قد غادروا المكان باتجاه بيت أهلها، هذا أفضل.. نعم..

غسلت وجهي وأنا أنظر إلى الخدش الذي جاءني في الحلم،

لكن أثره واضح عليّ الآن.. شـق طويل في وجهي، ربما أحتاج عملية تجميل بالليزر كي أتخلص منه..

لا حول ولا قوة إلا بالله.. شيء غريب جدًا، ومرعب..

فجأة سمعت رنة الجرس، فتحت الباب بقلق، وكان آخر شخص أتوقع رؤيته هنا، الآن..

(حازم)!

ـ ما الذي تفعله هنا؟!

سألته، فأجابني وهو يدخل ويجلس على أول مقعد أمامه:

ـ أثرت ذعري يا رجل بمكالمتك معي قبل قليل..

من الأشـياء الجميلة التي تعجبنـي بصديقي (حازم) رجولته، إنه الرجل المناسـب في المكان المناسـب، بعيدًا عن أنه من سـكان المنطقة ويعمل أيضًا في مجال الأدب والإعلام الذي يستهويني وأعمل فيه..

أخبرني كيف كنت أتكلم معه، وكيف انقطع الاتصال فجأة كأنني سـقطت أو تعرضت لمكروه، قال إنه اسـتأذن من مديرته وحاول أن يأتي مباشرة لكنه عَلِق قليلاً في الزحام..

صعِق بشـدة حـين أخبرته بالذي حـدث معي، وكيـف أنه لولا حضور زوجتـي والأولاد لربما فعلاً هاجمني الكلـب الذي من دون رأس حتى النهاية، وقتلني..

قال وهو يربّت على كتفي:

ـ بخصوص (ســارة) والأولاد، لا يجب أن يقلقوا، على الأغلب الموضــوع مرتبط بك أنــت، هم فقــط كانوا حولــك، في الوقت غير المناسب، المشكلة عندك أنت..

كان يتكلم بثقة كبيرة، وعلى وجهه ابتســامة توحي بالفهم، أو أنه كان يتوقع شيئًا ما، وهو متأكد منه..

ـ لم أفهم! كيف؟!

ســألته فقــال بحماس غير متناســب مع الموقف، وهــو يحرك يديه يمينًا ويسارًا كعادته:

هناك في الشقة، حدثت معك بعض الأشياء، وهنا حدثت أشياء

قلت:

ـ المشـكلة أن الأمـر كله بـدأ بنصيحتك لي أن أذهب إلى الشـقة، والمشكلة الأكبر أنها ليست نصيحتك، أخبرتك أنك نصحتني وأنت أنكرت ذلـك، ولا أدري من الذي نصحني بالفعل بأن أذهب إليها! لم أجد رقمك في سجل المكالمات كما أخبرتك!

فجأة، ارتسمت على وجهه ملامح حيرة رهيبة..

حدقت فيه بدهشة، بوجهه هناك حيرة هائلة، غير طبيعية!

سألته بفضول شديد:

ـ ما بك يا (حازم)؟!

سكت وأنا أنظر إليه، وقال:

ـ عندمـا أخبرتـك عبر الهاتـف أنـك لم تكلمني، لم أكـن بكامل تركيـزي.. نعـم كلمتنـي، أنـت اتصلـت بي بالفعـل قبل عـدة أيام وسـألتني، وأجبتك وقتها وأخبرتك عن هذه الشـقة، والغريب جدًا بـكل صراحة أنني أجبتك مباشرة عندما سـألتني، كأنما كان الجواب على رأس لساني، مع أنني لم أذهب إلى هذه البناية ولو مرة واحدة..

سألت ببطء:

ـ من أخبرك بها إذًا؟! كيف عرفت عنها؟!

فجأة لمعت عيناه، كأنما كان ناسـيًا وتذكر الآن، أو بالأحرى كأنما

لم يكن يعرف الجواب، وعرفه الآن..

رفع عينيه إليّ وقال:

ـ حلمت بالشقة قبل أن تسألني عنها، بيومين..

بدهشة قلت:

ـ حلمت بها؟!

قال محاولاً التذكر:

ـ نعـم، هـو أخبرني عنها، قال لي إن هناك شـقة مناسـبة للكتابة، وأعطاني العنوان بالتفصيل، وتذكرته لسـهولته، وعندما سألتني عن مكان مناسب للكتابة حسب رأيي، أجبتك مباشرة..

كان لا بدّ أن أسأل:

ـ هو من؟!

بهدوء أجاب:

ـ هو، الشيخ (أبو إسلام)، الذي يسكن قريبًا من هنا..

نعم؟!

ما الذي يقوله؟!

الشـيخ (أبو إسلام)، الذي أنوي أن أذهب إليه بعد قليل، والذي لم أخـبر (حازم) عن نيتي الذهاب إليه، هـو الذي ظهر في الحلم أمام (حازم)، وأعطاه عنوان الشقة؟!

لماذا؟!

كيف؟!

ما الرابط؟!

نهضت بحزم وقلت:

ـ (حازم)، كنت أنوي الذهاب إلى الشيخ (أبو إسلام) الآن..

بدهشة سألني:

ـ حقًا؟!

قلت وأنا أرتدي حذائي:

ـ نعم، سمعت عنه كلامًا لا بأس به، وحتى لو لم أكن أنوي أن أذهب إليه، صار لا بد أن أذهب! ما السر في أن الشقة التي بدأت بسببها هذه الأحداث معي، أخبرك هو عنها في الحلم، قبل أن أتصل بك وأطلب رأيك؟!

قال محاولاً التخفيف عني:

ـ أنت تدري يا (عدنان)، هذا مجرد حلم..

تملكتني العصبية وأنا أقول باستنكار شديد:

ـ حلم فيه عنوان شقة حقيقية عندما ذهبت إليها بدأت تحدث هذه الأمور اللعينة معي؟!

تنهد بقوة دون أن يعلق، تنهدت بدوري وسألته:

ـ هل معك رقم هاتفه؟!

أجابني وهو يخرج هاتفه من جيبه:

ـ معي رقم (فادي) جاره، ابن عمتك..

ـ إذًا سأتصل بـ(فادي)..

قلتها واتصلت به مباشرة، وبعد التحيات والمجاملات، ومن دون تفاصيل كثيرة، أعطاني رقم الشيخ (أبو إسلام)، فاتصلت به ليردّ علي ويقول:

ـ من معي؟!

سألت بلهفة:

ـ الشيخ (أبو إسلام)؟!

قال بلهجة حذرة:

ـ تفضل، من معي؟!

قلت بنبرة حاولت أن تكون طبيعية:

ـ معك (عدنان)، أنا ابن عمة (فادي) الـ...

قاطعني فجأة:

ـ أنت (عدنان) الكاتب؟!

جميل، جميل، يبدو أنه يعرفني أو سمع عني على الأقل، ربما من

(فادي) أو من فيسبوك، أو من أحد لقاءاتي التلفزيونية..

ابتسمت لاإراديًا وسألته:

ـ هل تعرفني؟!

صعقني بجوابه السريع:

ـ لا بصراحة، لكنّني حلمت بشخص، ظهر لي في الحلم وأخبرني عنك، قبل يومين!

ـ ماذا؟!

قلتها بصوت مرتفع وأنا أشدّ على يد (حازم)، الذي يقف بجانبي ويستمع للمكالمة معي..

أكمل الشيخ (أبو إسلام)، وهو يجهل تمامًا كمية التوتر والتشويق الهائلة التي وضعني فيها بكلمته العابرة..

ـ حلمت بك قبل يومين.. شاب معنا من سكان المنطقة، قريب من هنا، جاءني بالحلم وأخبرني أن هناك شخصًا ستحدث معه بعض الأشياء، وأن هذا الشخص هو أنت، الكاتب (عدنان)، وأنك ستتصل بي طلبًا لمساعدتي..

ضغطت على يد (حازم) بقوة أكبر، شعرت بأعصابي تكاد تقفز خارج جسدي وأنا أسأل بلهفة كبيرة للغاية:

ـ شاب من سكان المنطقة! من هو؟!

صدمني بجوابه غير المتوقع:

ـ شاب اسمه (حازم)!



تراجع (حازم) بظهره إلى الخلف، وعلى وجهه مليون علامة سؤال، مثل المليون علامة سؤال الأخرى، التي في وجهي!

كيف؟!

أنا ذهبت إلى شقة، وهذه الشقة أخبرني عنها (حازم)..

بينما (حازم) فعليًا لا يعرف الشقة، لكنه أخبرني عنها بعد أن رآها في حلم، قبل يومين، والشيخ (أبو إسلام) هو من ظهر له في الحلم وأخبره عنها..

والشيخ (أبو إسلام) الذي كنت أريد أن أذهب إليه، بسبب ما حدث معي، لا يعرفني ولا يعرف (حازم)، لكن عرف أنني (عدنان) الكاتب على الهاتف، لأنه رأى (حازم) في حلمه، وأخبره أنني سوف أتكلم معه وأطلب مساعدته!

ما الدوامة الأسطوانية العميقة هذه بالضبط؟!

ما هذا المستنقع الغريب المخيف، المثير للرعب، الذي سقطت فيه دون تحذير مسبق؟!

سألت الشيخ (أبو إسلام) بسرعة:

ـ هل تعرف (حازم) من قبل؟!

ـ رأيته مرّتين مع شاب يسكن بجانبي، اسمه (فادي)..

ـ (فادي) هو ابن عمتي..

ـ أهلاً وسهلاً، المهم متى ستأتيني يا (عدنان)؟!

قلت ببطء وتساؤل:

ـ آتيك؟!

قال:

ـ طبعًا، أنت اتصلت بي لأنك تريد الحضور، وأنا متيقن من أنه حدثت معك العديد من الأمور التي جعلتك تجلب رقم هاتفي وتتصل بي، وأنا يجب أن أراك أيضًا كي أعرف أكثر عن الحلم.. تعال بسرعة لأن عندي موعدًا بعد ساعتين..

قلت له وأنا أنهض:

ـ سآتيك مع (حازم)..

سكت ثم قال:

ـ حسنًا، أنتظركما..

وأنهى الاتصال، وأنا و(حازم) نفكر في الأسئلة نفسها، وقد علقنا في الحيرة نفسها..

ما علاقة ما حدث معي بالشيخ (أبو إسلام) و(حازم)؟!

ما العلاقة التي تجمع ثلاثتنا كي يحدث هذا؟!

فجأة سألني (حازم) ونحن متجهان نحو الباب:

ـ وماذا بشأن الساعة؟!

أجبت سؤاله بسؤال:

ـ أي ساعة؟!

قال ونحن ننزل الدرج:

ـ أولادك قالوا إن هناك رجلاً يرتدي طاقية صوف زرقاء، أخبرهم أنّ الساعة ٤:٤٣ وبعدها اختفى داخل الجدار..

شعرت أنني لم أفهم، فقلت:

ـ حسنًا، ما الذي تقصده؟!

خرجنا من البناية وأغلقنا الباب خلفنا وهو يجيب:

ـ لماذا؟! ما الهدف من قوله لهم إن الساعة هي ٤:٤٣؟! ليس من المعقول أنه قال لهما هذه العبارة دون أي تفسير أو قصد! مستحيل! لا بدّ أن هناك سرًا أو هدفًا ما وراء الأمر.. هل يريد أن يخيف أولادك؟! هل يريد أن يثير قلقك عليهم؟! هل يريد أن يستعرض قواه أمامهم؟! هل هكذا هو يخبرك بطريقة غير مباشرة أنه يستطيع الوصول إلى أهلك مثلاً؟! لا.. لا..

ولوح بيديه وأكمل كلامـه، وأنا أفكر بكل حرف قاله، بينما نحن نمشي باتجاه بيت الشيخ (أبو إسلام):

ـ لا، لا، هناك شيء آخر.. لا يعجبني موضوع السـاعة هذا يا (عدنـان)، تذكر معي، هل يمثل لك أي شيء هذا الرقم؟! لماذا ٤٣:٤ بالضبط؟! ما المقصود؟!

لم أجبه واستمر مخي في التفكير، ولم يقل أي شيء إلى أن وصلنا إلى بيت الشـيخ (أبو إسلام)، وقبل أن ندق الباب بثانية فتحه لنا الشيخ، ورحب بنا..

لحيته سـوداء تخلو من الشيب، تصل إلى أبعد من منتصف صدره، شـعره أسـود قصير، عيناه غائرتان وقـد كحلهما بالإثمـد، ما منحه رهبة أكثر من قبل، وجثته ضخمة، عملاق هذا الشـيخ، يشـبه أبطال الرسوم المتحركة بهذه الملامح..

جلسـنا، وبعد أن أحضر لنا القهوة من الداخل، كان واضحًا على ملامحنـا الخوف، وكان من الواضح أننا نشـعر بالقلق الشـديد.. هو الوحيد الذي كان مطمئنًا..

ببسـاطة، وكأنما مر عليـه الكثير جدًا، فلم يعـد شيء يثير قلقه أو استغرابه أو خوفه..

شبك يديه ببعضهما، وقال بنبرة عميقة:

ـ قل لي يا (عدنان)، ما الذي حدث معك بالضبط..

وفعليًـا، أخبرته بـكل شيء، لم أتـرك تفصيلة صغـيرة، حتى عن الكـوب الأحمر، الحـارس، الجثة التي فتحت عينيهـا، الصنبور الذي نـزل منه الـدم، الأطفال الصلع، (شـاهين)، الكلب الـذي من دون رأس، الحـمام الـذي كان ممتلئًا بجثث الكلاب، الحلـم، الضربة التي في وجهـي، الرجـل الـذي ظهر لـلأولاد، وحتى عن السـاعة ٤:٤٣ المجهولة!

كل شيء..

قلـت له كل شيء، بينما كان طـوال الوقت ينظر إلى الأرض، ويهز رأسه، وكل حين كان يصدر صوتًا بمعنى أنه يسمعني، ويرغب في أن أكمل كلامي، و(حازم) يسمع أيضًا بقمة التركيز..

عندما انتهيت وأخذت نفسًـا عميقًا، لم يعلق الشـيخ، بقي مكانه قليلاً، يحدق في السقف ويفكر..

نهض بعدها، غاب في الداخل قليلاً وعاد ومعه كوب أحمر..

أشعر أنني رأيت هذا الكوب قبل هذه المرة!

هل هو نفسه الكوب الأحمر الذي كان في الشقة؟!

لا..

مستحيل، هذا مستحيل..

كان بالكوب سائل لونه أسود، لزج..

اقترب الشـيخ (أبو إسـلام) ومعه الكوب، جلـس بجانبي، بيني وبين (حازم)، قرّب الكوب من شفتيه، وقال بصوت منخفض:

«كهيعـص حمعسـق.. احما حميحا اطـما طميحا، اللـه عزيز قادر، عزمت عليك أيها الضعيف بحق حاشيا وشراحيا وأشبؤوت أن تأتي وتفـسر لنـا ما لا نعلمه.. ويل لكل أفاك أثيم يسـمع آيات اللـه تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا.. بسم اللـه بسم اللـه عزمت عليك أن تظهر بيانًـا عيانًـا وترفع الرؤوس فـوق الرؤوس، وتخبرنـا الخبر الصحيح بحق الملك أبو حمعسـق الحاكم عليـك.. الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة»

ما الذي يقوله الشيخ (أبو إسلام)؟!

تعزيمة شيطانية؟!

لماذا هذه التعزيمة بالضبط؟!

فجأة..

هبت رائحة عفن قوية!

رائحة عفنة.. رائحة شيء ميت..

رائحة جثث!

كأنني نزلت بيدي ورجـلـيّ، وبكامل قواي العقلية، إلى داخل قبر عملاق، فيه عشرات الجثث المنتفخة المتحللة..

فجأة حدث شيء بعث القشعريرة في جسدي..

جعلني أرتجف..

صدر صوت من الكوب، كأن أحدًا يهمس!

أبعد الشيخ (أبو إسلام) الكوب عن شفتيه، وقرّبه من أذنيه، وصار يصغي..

المشكلة أن صوت الهمس واضح! أنا لا أتخيل، هذا حقيقي ويحدث أمامي الآن..

هناك صوت همس من الكوب!

ودون أدنى مشكلة أو تردد أو قلق، كان (أبو إسلام) يستمع ويهز رأسه..

(حازم) ـدون أن يراه (أبو إسلام)ـ صار يشدّ على يدي بقوّة، وجهه كان مرعوبًا بشدة، ورغم أنه مر بتجارب عدة في الماضي كما أخبرني مرة، فإنّ هذه مرحلة جديدة كليًا..

فجأة..

سمعنا صوتًا!

صوت شخص يغني بعض الكلمات التي سمعتها أكثر من مرة..

كلمات أغنية صرت أكرهها من دون أن أسمع بقيتها:

«مشاعر تشاور تودع مسافر

مشاعر تموت وتحيي مشاعر»!

بسم الله الرحمن الرحيم..

أدرت وجهي، وأنا أشعر أنني سأسقط على الأرض، من شدة الصدمة والمفاجأة، والخوف، والفزع..

والذهول!

لا أشعر بجسدي..

مشاعري لا تصدق..

الشيخ (أبو إسلام) كان يغني الأغنية!

كان يغني..

وعلى وجهه ابتسامة مرعبة..

.. ابتسامة جمدت الدم في عروقي!

■ ■ ■



الحالة النفسية التي كنت أعيشــها لحظتها، لا تصدق، لأنها كانت فوق الطبيعية حرفيًا..

كنت متجمدًا من الخوف والرعب، أشعر أنني خارج إطار الزمن كله، أســتمع للأغنية الملعونة من بين شــفاه الشيخ (أبو إسلام)، بعد أن ســمع همسًا من داخل كوب أحمر فيه ســائل أسود لزج، وبجانبي (حــازم) الذي كان بعيدًا عن الموضوع، وهو مجرد شــخص نصحني بأن أذهب إلى شــقة ما، وإذا به فجأة أســاس الموضــوع كله، (حازم) المرعــوب الذي يمســك بيدي بقوة وقــد أغمض عينيه بشــدة، كأنه هكذا سيهرب من المكان الذي نحن فيه.. (حازم) الذي حلم بالشيخ (أبو إســلام)، وأيضًا حلم الشــيخ (أبو إســلام) به، وأنا الذي لم أكن أعرف شيئًا، وقعت بين الحلمين، وبين الشخصين، وحدث ما حدث معي، ولا يزال يحدث..

حتى هذه اللحظة تمامًا!

«مشاعر تشاور تودع مسافر

مشاعر تموت وتحيي مشاعر»!

بصوت بطيء كانت تخرج الكلمات من فم الشيخ (أبو إسلام)، وهو ينظر إليّ أنا و(حازم)..

وفجأة نهض، وفتح عينيه وفمه حتى آخرها، وصرخ..

الصرخة كانت بلا صوت، لكن ما حدث بعدها لم يكن له مثيل، ولم أر مثله في حياتي..

من داخله ومن فمه خرجت الحشرات!

عشرات الحشرات، مئات الحشرات، فجأة وبسرعة صاروخية غادرت جسده وطارت إلى الأعلى، نحو السقف، وأنا تجمدت، ولم أعد أستطيع الحركة..

شعرت لوهلة أنني مشلول، لا أستطيع النهوض أو عمل أي شيء! لست قادرًا حتى على تحريك يدي ورأسي، وحتى عيناي لم أعد أستطيع إغماضهما مثل (حازم)!

عيناي تنظران إلى السقف، الحشرات ملأت السقف كله، فصار مثل البساط.. بساط لونه أسود، ويتحرك، وكله برؤوس صغيرة مزودة بقرون استشعار مقرفة!

فجأة سقط الشيخ (أبو إسلام) على الأرض وصار ينتفض، يتحرك، يرتعش، وبدأ زبد لونه أبيض في الانسكاب من بين شفاهه.. لم أنتبه كثيرًا لما يحدث معه لأن كل تركيزي كان مع ما يحدث ببساط الحشرات الذي فوق رأسي..

فجأة تجمعت الحشرات، وهبطت من السقف، جميعًا، وكوّنت شكلاً آدميًا..

المنظر غريب ومرعب لأقصى حد..

كل الحشرات، شكّلت تكوينًا بالحجم الطبيعي للإنسان، أمامي.. لست قادرًا على فعل شيء، والشيخ (أبو إسلام) خفت رعشاته وهو على الأرض بعد الزبد الذي سال منه، و(حازم) بجانبي مشلول مثلي، غير قادر على الحركة، بينما التكوين الآدمي المصنوع من الحشرات هذا أمامي بالضبط، وهو مرتفع عن الأرض قليلاً..

اقترب مني، وشعرت بسخونة غير طبيعية..

سخونة غريبة جدًا وهو يقترب منّي، كأنّني قريب من النار!

فجأة رفع التكوين الآدمي يده، كلها حشرات تتحرك بسرعة، ملتصقة بعضها ببعض، وقرّبه من رأسي، و...

قبل أن يلمس رأسي تمامًا، ومن المرآة الكبيرة المعلقة أمامي على الجدار، خرج كائن معدوم الملامح..

من المرآة!

كتلة كثيفة لونها أبيض، مثل القطن، وأيضًا تكوينها آدمي، بسرعة غريبة غادر المرآة واشتبك مع كيان الحشرات الآدمي أمامي، وخلال ثوان كانت هناك عاصف من القطن والحشرات في صراع غريب، مع مجموعة من الكلمات والألفاظ غير المألوفة، بلغة لم أسمع مثلها في حياتي، كلها من حروف الخاء والشين والقاف..

كلهما، وكأنما هذان الكائنان يتشاجران، ويشتمان بعضهما، وأنا مثلما أنا، لا أفهم شيئًا، ولا أستطيع فعل شيء..

فجأة انفصلت اليد المصنوعة من الحشرات، وغادرت الصراع العنيف وحلّقت!

طارت فوقنا واقتربت منّي، عند رأسي، و...

تحرر لساني فاستطعت أن أصرخ من شدة الألم! كأن أحدًا وضع على جسدي قضيبًا ناريًا، وبسرعة غريبة شعرت أنني أنسحب من جسدي، من المكان الذي أنا فيه، أنزل تحت الأرض، أغوص نحو الأسفل، نحو الأسفل، أغمضت عينيّ، وفتحتهما..

كنت في الشقة..

كنت في الشقة الأولى التي بدأ منها كل شيء..

الكوب الأحمر أمامي، وأنا على السرير، وأمامي المرآة..

كنت أرتدي ساعتي، وقتها لم أكن أرتدي ساعتي..

الآن أنا أرتدي ساعتي!

فجأة شـعرت بشيء يسحبني، الآن أنا أمام غرفة الحارس، فارغة لا يوجـد فيهـا أحد، وأمامي الكلب الأسـود الذي مـن دون رأس، نفسه، من جديد..

هجم علي مرة أخرى، حاولت الهرب ولم أسـتطع، سقطت أرضًا فضربني بمخالبه على وجهي، ونزل من خدي دم..

فجأة شعرت بشيء يسحبني، مرة أخرى، ووجدت أنني في بيتي، أنا في المنزل..

نعم؟!

أنا في البيت.. في غرفة الأولاد!

لكن لماذا كل شيء بالعكس؟!

أشـعر أنني مثل المسـجون، كأن هناك شـيئًا يكبلني ويمنعني عن

أنا داخل مرآة الخزانة؛ ولهذا أرى كل شيء بالعكس!

كيف داخل المرآة؟!

لماذا داخل المرآة؟!

فجأة سمعت صوتًا..

ما هذا؟!

هل هذا صوتي أنا؟!

هذا صوتي وأنا أتكلم مع (سارة)!

هذا صوتي عندما كنت أنا وهي نتكلم عن الشـقة، وكنت أحاول إقناعها بأن تذهب عند أهلها، وأنا أذهب إلى الشقة..

كيف؟!

هذا الشيء حدث منذ يومين!

كيف عاد الزمن هكذا؟!

هذا صوتي.. يجب أن أفعل شيئًا..

من دون تفكير، مددت إصبعي على الدم الساخن الذي يسيل من خـدي، وكتبت به على المـرآة، طبعًا كتبت بالعكس كي يسـتطيع أي أحد على الوجه الآخر من المرآة أن يقرأ الكلام المكتوب:

«لا تذهب أرجوك»!

كتبت الجملة بالعكس؛ بما يوافق قوانين المرايا طبعًا، كي يستطيع أي شخص أن يقرأها، وفي هذه اللحظة دخلت (رنين) الغرفة، كان معها قلم ودفتر، وضعتهما في حقيبتها ثم لاحظت المكتوب على المرآة، وقرأته..

انتبهت للذي كتبته، ولم تنتبه لي وأنا أصرخ من داخل المرآة، لم ترني ولم تشعر أنني هناك..

أصرخ وأصرخ، دون صوت!

كيف استطعت أن أكتب هذه العبارة؟!

لا أدري..

كيف استطعت؟!

لا أعرف، لكنني أشعر أن هناك شيئًا ما بجانبي، يوجد شخص بجانبي، أحد ما، أو شيء ما، ولا أستطيع أن أدير رأسي نحوه، لكنني بطرف عيني لمحت خيالاً أبيض..

هل من المعقول أنه يكون ذلك المصنوع من قطن، الذي كان يتصارع مع كيان الحشرات في بيت الشيخ (أبو إسلام)، هو هذا؟!

لماذا ليس لي أي صوت هنا؟!

لا أعرف أيضًا.. صرخت كثيرًا دون جدوى..

بسرعة خرجت (رنين) من الغرفة وغابت دقيقة، لتقول لهم

المكتـوب على المرآة، وبعدها رأيت أنني أدخل الغرفة ومعي (ســارة) والأولاد، وملامحي المستغربة جدًا من الكلام المكتوب بالدم!

لحظة..

أنا فعلت هذا لنفسي!

أنا حذرت نفسي من الذهاب، عندما قرأت العبارة على المرآة أول مرة، قبل أن أذهب إلى الشــقة.. جاءتني (رنين) وقالت إن هناك شيئًا غريبًا مكتوبًا على المرآة، ودخلت وقرأت واستغربت العبارة الغامضة المكتوبة بالدم..

أنا كتبت هذا، وكتبته لنفسي!

وبدمي أيضًا، الذي سال من خدي، بسبب الخدش الذي سبّبه لي الكلب الذي من دون رأس!

فجأة شعرت بشيء يسحبني، كأني أصعد لأعلى، أصعد لأعلى، لا أدري أين كنت، ولا أين سأذهب..

وفجـأة وجدت أنني في بيت الشــيخ (أبو إســلام)، على الأرض بجانبه، وبجانبي (حازم) فاقد الوعي.. كلنا على الأرض، ولا توجد حشرات سوداء، ولا كتلة قطنية بيضاء، ولا أي شيء آخر..

فقط هناك رائحة عفن قوية في المكان..

ببطء وصعوبـة نهضت عن الأرض، هاتفي يهتـز في جيبي لأنني وضعتـه عـلى الوضـع الصامت فـور وصولنـا إلى بيت الشـيخ (أبو

إســلام)، أمسكته، (سارة) تتصل بي، سأتصل لاحقًا بكِ يا عزيزتي.. اتركيني الآن قليلاً لأفهم ما الذي يحدث، أو لعلي أحاول الفهم!

ـ (حازم).. انهض يا (حازم)..

اقتربــت منه وأخــذت أربت على وجهــه كي ينهــض، فتح عينيه ونهض كالملســوع، نظر إليّ وإلى الشــيخ (أبو إســلام)، بحذر اقترب منه، مد أصابعه على عنقه..

وفجأة تراجع إلى الخلف بقوة وقال:

ـ الشيخ (أبو إسلام)..

ـ ما به؟!

ـ مات..

قالها وهو يرتجف، وأنا صرت أرتجف مثله، وأكثر.. أكمل:

ـ ربما لم يحتمل جسده هذا التلبس الذي حصل..

ـ أي تلبّس؟!

قال وهو يشير بيديه:

ـ عندما صار يطير، ويغني، وعندما صرخ.. هذا ليس هو! أو هو ولكنه ليس هو في الوقت نفسه! لقد تلبسوه، احتلوا جسده وسيطروا على عقله، وجعلوه يتصرف كما يريدون!

فقدت أعصابي وأنا أصرخ:

ـ مَن ولماذا؟! وما علاقتي أنا بهذا الأمر كله؟! ولماذا مات؟! ولماذا ما زلنا هنا؟!

في الوقت نفسه الذي صرخت فيه، كان هناك صوت خطوات..

أشخاص، يركضون بسرعة..

المشكلة أننا في الطابق الأخير، ولا يوجد أحد فوقنا..

خطوات مَن هذه؟!

لم ننتظر أو نفكر كثيرًا، تركنا الجثة على الأرض وفتحنا الباب بسرعة ونحن نبسمل ونحوقل ونستعيذ بالله من الشيطان الرجيم طوال الوقت، توقفنا بعد عدة بنايات واستندنا إلى حائط ونحن نلهث..

ـ والآن ماذا؟!

سألت (حازم) فقال:

ـ لا أعرف، الأمر كبير لكن يجب أن يكون هناك حل! والذي جئنا كي نعرف التفسير منه صار جثة هامدة!

صرخت:

ـ أنا لا أعرف ما الأمر أصلاً كي نعرف حله! نحن نجهل ما هو السؤال فكيف نعرف الجواب يا (حازم)؟!

اقترب مني، وقال وعيناه تنظران مباشرة في عيني:

ـ هناك تفسير حتمًا، تذكر جيدًا يا (عدنان)..

ـ لا يوجد شيء لأتذكره يا (حازم)..

ـ تذكر، هناك شيء حتمًا..

حدقت في عينيه قليلاً، ووجدت نفسي أجلس على الأرض، وأستند بظهري إلى الجدار، فعل مثلي وجلس بجانبي وهو ينظر إليّ بثبات، دون أن يقول شيئًا..

فجأة تنبهت لأمر مهم للغاية، نقطة بسيطة، لم أعرها القدر الكافي من الاهتمام..

الآن تذكرت، وانتبهت..

أول مرة اتصلت بـ(حازم)، وهو نصحني بالشقة، وقال لي إنها ممتازة، ومدحها لي جدًا، ووصفها بأنها مناسبة للكتابة..

المرة الثانية التي اتصلت فيها بـ(حازم)، كانت بعد أن رأيت جثث الكلاب عندي في حمام البيت، ووقتها أنكر تمامًا أنه قال لي شيئًا عن الشقة..

المرة الثالثة عندما جاء عندي وقال إنه شعر أن الجواب على رأس لسانه، وحينها قال إنه تذكر حلمه بالشقة قبل يومين، عندما رأى الشيخ (أبو إسلام) في الحلم!

وما الذي يعنيه هذا؟!

هـذا يعني واحدًا من اثنين، إما أنّ (حازم) الذي بجانبي الآن هو ليس (حازم) صديقي، بل جزء من هذه اللعبة التي تحدث معي..

وإما أنه (حازم) الذي اتصلت به أول مرة وسألته عن الشقة، وأخبرني عنها، وأيضًا هو ليس (حازم) صديقي..

كارثة على الوجهين!

في الحالتين هناك شيء تم التحضير له على نحو ممتاز، كي أذهب إلى الشقة ويحدث كل ما حدث معي، ويتم بعدها كل ما صار حتى الآن، وهذا الشيء كان لا بدّ له من أن أزور الشيخ (أبو إسلام) كي يكتمل، وفعلاً أتيت، وحدث ما حدث..

يعني أنا مشيت على الخطة التي يريدونها لي تمامًا!

مَن ولماذا؟! لا أعرف..

لماذا أنا؟! لا أدري أيضًا..

من الذي معي الآن؟! صديقي (حازم) وأنا أتوهم، أم شخص آخر؟! ومن الكيان الأبيض الذي كان يتصارع مع كيان الحشرات الآدمي الذي خرج من جوف الشيخ (أبو إسلام) قبل أن يرتمي على الأرض ويموت؟!

ظلمت الشيخ (أبو إسلام)، وكنت سببًا في موته، وفي أنه تم تلبّسه، بينما ربما تكمن المشكلة كلها في مكان وشخص آخرين!

استدرت ببطء ونظرت إلى (حازم)..

والله هو، والله هذا صديقي، لكن ربما في الوقت نفسه ليس هو.. ربما أحد آخر، شيء ما آخر، وربما أيضًا تم تلبسه هو أيضًا، أو أن هذا كائن متنكر على هيئته..

ابتلعت ريقي وأنا أحاول السيطرة على نفسي قدر المستطاع، وأمسكت هاتفي..

ـ بمن تريد أن تتصل؟!

ـ بـ(سارة)..

سألني وأجبته، بينما أنا أتصل به..

لو رن الهاتف الذي معه، فالذي سيرد عليّ طبعًا سيكون هو، صديقي (حازم)، أما لو لم يرن الهاتف الذي معه فسأكون وقتها في مشكلة أخرى بعيدة عن الذي حدث معي.. في مشكلة عويصة جدًا، هذا يعني أنني حتمًا مع الكيان الذي يتقمص (حازم)!

بعد ثوانٍ رن الهاتف الذي معه، أمسكه ونظر إليّ باستغراب، فرسمت ملامح الدهشة على وجهي مثله وقلت:

ـ هل أتصل بك؟! لا بدّ أن يحدث هذا مع كل ما حدث حتى الآن، ومع كل ما مررنا به..

ابتسم ولم يقل شيئًا، فسألته لا أدري لماذا:

ـ ما السبب في رأيك؟!

ـ أي سبب؟!

ـ لماذا يحدث كل هذا معي؟! لماذا كل هذه الأمور العشوائية الغريبة المرتبطة ببعضها، وغير المرتبطة ببعضها، في الوقت نفسه؟!

قال بثقة غريبة للغاية:

ـ اسأل نفسك، تذكر جيدًا، ستتذكر..

كانت ثقته هائلة وهو يجيبني..

كأنه متأكد من أنني أعلم، ولكنني نسيت..

لماذا هو متأكد؟!

كيف هو متأكد؟!

نهضت ومددت له يدي كي أساعده على النهوض، لكن فور أن لمست يدي يده حدث شيء مرعب..

شيء كنت على وشك الموت من الخوف بسببه..

يد (حازم) التي كنت على وشك لمسها، كانت متكونة بالكامل من حشرات سوداء!

شعرت أنني سأسقط..

جسدي يرتجف، يداي ترتعشان، نهض بسرعة وعيناه حمراوان مُصوّبتان نحوي.. لا.. هذا ليس (حازم) بالتأكيد، حتى لو رن هاتفه وكان معه، هذا ليس (حازم) ولم يتم تلبّسه أيضًا..

لن تكون يده متكونة من حشرات لونها أسود!

عينا (حازم) ليستا حمراوين!

هذا ليس (حازم)، وليس بشريًا أساسًا..

نحن في الشارع، ورغم هذا لا يرانا أحد، يمر الناس بجانبنا كأننا مجرد طيفين، شبحين، وهمين..

كأننا لسنا موجودين!

اقترب مني حتى صارت شفتاه بجانب أذني بالضبط، وهمس بصوت منخفض، وبطريقة الهمس نفسها التي سمعناها من الكوب الذي كان يمسكه الشيخ (أبو إسلام):

ـ تذكر..

فجأة شعرت بجسمي يطفو، كأنني أسبح في مياه خفيفة..

كيف مياه خفيفة؟!

الشعور غريب، كأن هناك غيمة تحتي، غيمة لها وزن وإحساس، وأستطيع أن أكون داخلها.. وفجأة بدأت في التذكر..

فجأة بدأت أتذكّر..

قبل عدة أيام كنت أقود السيارة بالليل، وكنت أرتدي طاقية صوف زرقاء على رأسي..

الطقس بارد، وبجانبي كوب أحمر اشتريته منذ فترة قريبة، وكانت به بقايا هوت شوكليت..

أتذكر، وأفتح عينيّ عن آخرهما وأنا مستغرب كيف نسيت هذه الأحداث.. الأغنية التي كانت تنبعث وقتها من السيارة كانت أغنية (شيرين)، وبالذات المقطع الذي تكرر أكثر من مرة، على نحو غريب ومستفز وغير منطقي:

«مشاعر تشاور تودع مسافر

مشاعر تموت وتحيي مشاعر»!

فجأة ظهر أمامي كلب أسود في الشارع..

أمامي..

وبسرعتي الكبيرة لم أستطع أن أتفاداه، ودهسته.. سمعت صوت صرخة مكتومة، وتناثر الدم على الزجاج، قبل أن تدور السيارة حول نفسها وتتوقف عن الحركة..

نزلت بسرعة وقتها، ثمة دخان كان يتصاعد من أسفل غطاء المحرك، لكنني لم أعره اهتمامًا.. ركضت بسرعة كي أرى الكلب، كان رأسه مقطوعًا، جسده في جهة، ورأسه في جهة..

شعره الأسود كان في كل مكان..

ودمه أيضًا..

وقتهـا أيضًا لم أهتم كثيرًا، مجرد حيوان وانتهى عمره على يدي، ما كان يهمني هو أمر آخر تمامًا..

الجثث..

.. الجثث التي في الصندوق الخلفي لسيارتي!

■ ■ ■

من أنا؟!

أنا قاتل..

هل أنا قاتل؟!

أنا (عدنـان)، قاتل مأجور وأسـتلم أجوري وأمـوالي عن طريق البيتكوين، العملة المشفرة الشهيرة عبر الإنترنت، التي يتعامل بها كل مسـتخدمي الإنترنت المظلم.. الكتابة ليست أكثر من وسيلة وغطاء أمام الناس والأسرة، كي أبرر شـكوك البعض بخصوص الفيلا التي نعيش فيها، والأموال الكثيرة، والسيارة الجديدة..

هل أنا قاتل؟!

الجثـة التي معي في الصندوق الخلفي لسـيارتي، هي جثة الشـيخ (أبو إسلام)!

أتذكر كل هذا، وأنا أشعر أنني أنهار من الداخل..

أنا قاتل مأجور!

أنا مع (حازم)، الذي اتضح أنه ليس (حازم)..

أنا كاتب، لكنّ هذا مجرد منظر أمام الناس، ديكور، أو وسيلة إلهاء لنفسي قبل أن تكون وسيلة إلهاء لعقول الناس!

كيف؟!

أنا متعايش مع هذا الأمر لكنني أرفضه بشدة في الوقت نفسه!

أنا متفهم للفكرة، لكنني ضدها..

كيف ولماذا؟!

هل أنا مصاب بفصام الشخصية؟!

هل شخصية الكاتب تختلف تمامًا عن شخصية القاتل المأجور؟!

هل هذا ما قصده (شاهين) حين حذرني من نفسي؟!

حين قال لي إن (عدنان) الأول يختلف عن (عدنان) الثاني؟!

هل من أجل هذا رأيت انعكاسًا مختلفًا لي في مرآة الشقة؟!

لماذا جثة الشيخ (أبو إسلام) معي بصندوق السيارة؟!

هل أنا قتلته؟!

نعم، أنا قتلته..

لكن لماذا قتلته؟!

حتمًا جاءتني حوالة بالبيتكوين كي أقتله، لكن من يريده ميتًا؟!

لماذا هو بصندوق سيارتي؟!

كيف قتلته ومتى؟!

كيف ذهبنا إليه قبل قليل وكان حيًا؟!

كيف قتلته وعاش مجددًا؟!

هل مات مرة ثانية؟!

هل مات مرتين؟! معقول؟!

هل الذي يحدث الآن صار فعلاً قبل قليل؟!

أم العكس؟!

هل كتبت لنفسي في المرآة قبل كل شيء أم بعد كل شيء؟!

ما هذا الامتزاج الغريب غير المنطقي؟!

ما هذا العالم الذي دخلته؟!

ما السبب؟!

الأغنية؟!

الكلب؟!

الطاقية؟!

الكوب؟!

الشيخ (أبو إسلام)؟!

(حازم)؟!

مـن ذلـك الكائـن الأبيض، الـذي تصـارع مع كيـان الحشرات السوداء ومنحني فرصة؟!

هل هو من الملائكة مثلاً؟!

لماذا يدافع عني وأنا قاتل؟!

هل من الممكن أن تكون هذه روح الشيخ (أبو إسلام) والتي هي بشـكل عام ضـد قوى الظلام، حتـى لو كنت أنا الطـرف الآخر من الصراع أو النزاع؟!

ما الذي يحدث؟!

لا أذكر شيئًا..

لا أذكر شيئًا..

لا أذكر شيئًا..

أحاول التذكـر، وتمتزج العوالم ببعضِها، الأشـياء تدخل وتخرج، كمن يغرق في الهواء، ويحلّق في الماء..

لا بـدّ أنني كنت أعاني فصامًا هائلاً في الفترة السـابقة من حياتي، وما حدث الآن أن الشـخصيتين اكتشـفت إحداهما الأخرى، بسبب اليـد المتكونة من حشرات، أو من أثرها، من الشـخص الذي ينتحل هيئة وشخصية (حازم)!

ما الذي حدث؟!

مـا حدث هـو أنني قتلـت كلبًا، وقطعت رأسـه بسـبب السرعة والليل، وكنت أرتدي طاقية صوف زرقاء، وبجانبي كوب أحمر، بينما أغنية (شيرين) في الخلفية، والكلب الذي قتلته هو...

ـ ابني!

الكلمة اخترقت حاجـز الذكريات والألوان والأصوات بصوت (حـازم)، مـع أنها أول مـرة في حياتي أسـمعه بهـذه الغلظـة والقوة والصرامة والقسوة..

بصعوبة بالغة استطعت أن أتمتم، بينما هو يمسكني من عنقي:

ـ لم أقصد هذا.. أنا آسف.. أنا آسف..

فجأة هبطت عتمة غريبة علينا، وفجأة عم الهدوء..

هدوء غريب..

هدوء..

هدوء!

شـعرت أنني خـارج العالم، خـارج حـدود العالم كلـه، في غرفة معزولة عن الصوت والروائح والمشاعر..

لوهلة شعرت أنّني أفهم كل شيء، وأنني لا أفهم شيئًا أيضًا!

كلّ ما حدث، عبارة عن انتقام..

انتقام، بسبب أنني قتلت كلبًا..

الكلــب كان ابن هذا الشيء، وكان متنكرًا عــلى هيئة كلب عندما قتلته.. لكن..

ما علاقة (حازم) بهذا الأمر؟!

هدوء..

هدوء..

ما علاقة (حازم) بهذا الأمر؟!

أتذكر..

ها أنا أتذكر، الصور تعود إلى خيالي بصعوبة بالغة..

الكلب على الأرض، رأســه مقطوع، والدم على الزجاج، وطاقية الصــوف الزرقــاء عــلى رأسي، و(شــيرين) لا تــزال تغنــي بصــوت منخفض، ورغم هذا مشيت نحو الصندوق الخلفي للسيارة..

وفتحته..

داخل الصندوق كانت هناك جثة الشيخ (أبو إسلام)..

وبجانبها جثة (حازم)!

نعم؟!

ماذا؟!

الآن تذكرت.. أنا قتلت الاثنين، أنا طلبت لقاءهما في بيت الشيخ (أبو إسلام)، وقتلتهما..

من يريدهما ميتين؟!

لكن هل قتلتهما ثم التقيتهما في بيت الشيخ؟!

هل الذكريات هي شيء يحدث حاليًا؟!

هل كنت أتخيل كل هذا، بينما شخصيتي الأخرى، هي اللي قتلت الشيخ (أبو إسلام)، وليس الكيان المتكون من حشرات، وبعدها قتلت (حازم)؟!

شخصيتان في جسد واحد؟!

ولم أكن أدري أن هناك شخصية أخرى؟!

لا، من المستحيل أن تكون هذه ذكريات..

لكن ذكريات أنا قتلتهما فيها؟!

إن كان هكذا، فما الذي حدث في الأيام الماضية بالضبط؟!

هدوء..

هدوء..

هدوء..

فجأة شعرت بشيء يسحب جسدي، كما كان يحدث عندما كنت أتذكر وأنتقل من مكان إلى مكان..

شعور غريب أنني أهبط للأسفل، أهبط للأسفل، وفجأة انتبهت إلى أنني في شارع طويل، طويل، والوقت تجاوز منتصف الليل..

أدرت وجهي في كل الاتجاهات، لا يوجد أحد، مكان أسـود على نحو غير عادي، وفقط هناك شارع أمامي، ممتد على مد البصر، وحتى مصدر إضاءة هذا الشارع غير معروف، لا يظهر من أين..

هدوء غريب، هدوء منفر، هدوء غير طبيعي..

لا أسمع إلا صوت خطواتي فقط ..

ما الذي يفترض بي عمله؟!

هل أمشي في الشارع؟!

شيء كان يقول لي أن أمشي بالشارع!

مكتوب عليه:

ـ هنا يرقد (عدنان طاهر)..

هذا اسمي!

بسم الله الرحمن الرحيم!

كيف؟!

قرأت المكتوب تحت اسمي..

كان مكتوبًا تاريخ الوفاة..

قبل ٣ أيام بالضبط!

■ ■ ■



تقرير الشرطة المحلية:

«أفاد شهود عيان أنّ السيارة ارتطمت بجدار على جانب

و(حازم ثلجي) كانت في تمام الساعة ٤:٤٣ دقيقة مساءً».



مكالمة هاتفية بين (سارة) و(كرم)، بعد جنازة (عدنان) ودفنه بيومين:

ـ (كرم)، يا حبيبي أرجوك تعال بسرعة، وقل لشقيقي (إبراهيم) أن يحضر معك أيضًا..

ـ ماذا هناك؟! هل حدث شيء جديد؟!

ـ أريد أن أرحل بعيدًا عن هذا البيت.. لم أعد أستطيع البقاء فيه بعد وفاة (عدنان)، وبعد أن عرف الجميع أن زوجي كان قاتلاً مأجورًا.. لا يمكنك تخيل نظرات الجيران إلينا، والشماتة في أعين بعضهم، لا أستطيع، لم أعد أستطيع التحمّل..

ـ أخبريني، ما بك؟! ما الذي حدث؟!

ـ (حافظ)..

ـ ما به؟!

ـ جاءني قبل قليل وأثار فزعي، وأخبرني أن هناك عبارة مكتوبة على المرآة بلون أحمر، وتأكدت من ذلك فعلاً عندما دخلت الغرفة وقرأت المكتوب..

ـ ربما هي واحدة من الفتاتين؟!

ـ لا، مستحيل.. مستحيل..

ـ حسنًا، ما المكتوب بالضبط؟!

ـ «ساعدوني.. أنا محبوس بالداخل»!

ـ غريــب.. لكن ما الذي يجعلك واثقة ومتأكدة جدًا من أنه ليس خط واحدة من البنتين؟!

ـ لأنه خطّ (عدنان)!

تمت بحمد الله